

هكذا غنى

ماغور

* * *



ترجمة

خليفة محسن التليسي

المؤسسة الوطنية للكتاب
الجزائر

دار العربية للكتاب
ليبيا - تونس



هكذا غنى طاهر

فَكَذَّبْنَا عَنْ طَائِفَةٍ الْمَسَاءِ

* * *

ترجمة،
خليفة محمد التليسي

المؤسسة الوطنية للكتاب
الجزائر

الدار العربية للكتاب
ليبيا - تونس

رقم الايداع بدار الكتب الوطنية

89/673

الجمهورية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

جميع الحقوق محفوظة دار العربية للكتاب

1989



تواريخ هامة في حياة طاغور

1861 في يوم 6 مايو من هذا العام ولد الشاعر بمدينة كلكتا في أسرة معروفة بالعراقية والوجاهة والمكانة العلمية الأدبية . فقد كانت لوالده مكانة دينية واجتماعية بارزة في إقليم البنغال ، كما تميز إخوته وأخواته بالنبوغ الأدبي والفني والموسيقي ، مما هيا له الفرصة لأن يترعرع في بيئة غنية بالثقافة متفتحة على مختلف التيارات والاتجاهات الأدبية والفلسفية الهندية والشرقية والغربية .

1875 وفاة والدته . وكان حينذاك في الخامسة عشرة من عمره . نشر بواكيره الشعرية الأولى في إحدى المجلات الأدبية التي كانت تصدر بكلكتا .

وحين قارب العشرين من عمره نشر أولى مجاميعه الشعرية بعنوان (أغاني الصباح) ثم أتبعها (بأغاني المساء) فكان بذلك ي دشّن عهدا جديدا في مسار الشعر البنغالي الحديث .

1877 أرسله والده إلى إنجلترا لدراسة القانون . فلم يوفق إلى التخرج فيما أراد له والده من اختصاص ولم يلبث أن عاد إلى بلاده دون شهادة . ولكنه عاد بمحاضرة وافرة من المعلومات والتجارب التي غذت اهتماماته في مجالات الأدب

• انظر المقدمة في الجزء الأول من المجموعة .

والموسيقى . وبعد إقامة استمرت أربعة عشر شهرا عاد إلى بلاده مواصلا نظم الشعر وكتابة الدراسات الأدبية .

1883 وفي 9 ديسمبر من هذا العام تزوج مريتا ليني ديبى .

1890 قام برحلة ثانية إلى أوروبا زار فيها إنجلترا مارا بفرنسا وإيطاليا . وذكر الرحلات هنا أمر هام في حياة طاغور ، ومحققه من شهرة عالمية ، وقد اتخذ من هذه الرحلات جسرا يوصله بكبار الأدباء في العالم والتعريف بأدبه ورسالته في أرجاء المعمورة .

1891 عين نائبا لرئيس أكاديمية الآداب في البنغال ومن ذلك الحين انصرف انصرافا كاملا إلى النشاط الأدبي وكرس جهوده لخدمة الحركة الأدبية والعلمية في بلاده التي أخذ يعنى بشئونها السياسية .

1901 أسس بشأتني نيكثان مدرسة صارت فيما بعد الجامعة الدولية فسفاهاراي .

1902 وفاة زوجته .

1904 وفاة ابنته .

1905 وفاة والده .

1907 وفاة ابنه الأكبر .

وقد كان لهذه الأحداث المحزنة أثر عميق في نفسه ، وشعره ينعكس بشكل حاد في كثير من قصائده . وفي وفاة ابنته كتب ديوانه الطفل الذي ترجمه إلى الإنجليزية بعنوان الهلال .

1909/1912 كتب خلال هذه الفترة ديوانه جنتجالي (قربان الأغاني) ونشره باللغة البنغالية 1910 وهو العمل الذي صنع له شهرته العالمية ونال به جائزة نوبل للآداب فكان أول شاعر شرقي يظفر بها .

1912 قام بزيارته الأولى للولايات المتحدة ألقى فيها جملة من المحاضرات تحول إلى إنجلترا في زيارة ثانية حيث التقى بالشاعر عزرا باوند ووليام بتلر يتس وهما الشاعران اللذان نهضا بعبء تعريف الغربيين به وكان طاغور قد قام أثناء الرحلة بترجمة

بعض أشعاره إلى الإنجليزية وحين اطلع عليها الشاعر الإنجليزي يتس نحس لها .

1912 في نوفمبر من هذا العام نشر ديوان جتنجالي بالإنجليزية بتقديم الشاعر الإيرلندي يتس .

1914 منح طاغور جائزة نوبل على هذا الديوان وقد خصص ربع الجائزة لتطوير جامعته المعروفة ومنحته جامعة كلكتا لقب الدكتوراه الفخرية .

1915 منحته الحكومة البريطانية لقب (سير) وهو اللقب الذي أعاده إلى الحكومة البريطانية عقب الأعمال القمعية التي قامت بها في سنة 1919 بإقليم البنجاب .

1916 زار اليابان .

1917 زار الولايات المتحدة مرة ثانية وألقى سلسلة من المحاضرات . كما انتخب في هذه السنة رئيسا للمؤتمر الوطني بكلكتا .

وعني في هذه الفترة بالعمل على تطوير جامعته وتوسيعها، فلم يكتف برصد ربع جائزة نوبل والحقوق العائدة فقام بجولة جديدة حول العالم استغرقت أربعة عشر شهرا لجمع التبرعات لهذه الجامعة .

1921 تمكن طاغور بعد جهد كبير من افتتاح جامعته العالمية فيسفاهاراني وهي تسمية استوحاها طاغور من أحد الأبيات الشعرية السانسكريتية وتعني المكان الذي يتحد فيه العالم في وكر واحد .

1922 زار فرنسا وإنجلترا والدانمرك والسويد وألمانيا .

1924 زار ماليزيا والصين واليابان .

1925 حل ضيفا على الحكومة الفاشية الإيطالية وحسبت عليه تصريحاته السياسية التي تتسم بالسذاجة وطيبة النفس أكثر مما تعبر عن الموقف السياسي المناصر .

كما عين في هذه السنة رئيسا للمؤتمر الفلسفي بالهند .

1926 قام خلال هذه الفترات بعدة رحلات حول العالم زار خلالها سويسرا ، النمسا ،
وفرنسا حيث كان ضيف الكاتب الفرنسي الشهير رومان وولاند ، ثم زار
أيضا إنجلترا والنرويج ، ويوغسلافيا ، بلغاريا ورومانيا ، وتركيا ، واليونان
ومصر حيث كان موضع حفاوة من الأوساط السياسية والأدبية واحتفى به
الشاعر أحمد شوقي في بيته كرمة بن هاني ، وزار أيضا ماليزيا والصين
واليابان وكندا والهند الصينية والدنمرك وروسيا والولايات المتحدة .

وكان خلال هذه الرحلات يقوم بالتبشير بمبادئه ويقرأ شعره ، ويجمع التبرعات
للجامعة ، ويقيم العلاقات مع أبرز الشخصيات الأدبية والفكرية والسياسية في
عصره . وعرض في أوروبا وأمريكا بعض لوحاته مقدما بذلك وجهها آخر من وجوه
مواهبه المتعددة .

1928 بدأ في ممارسة هواية الرسم .

1929 رحلات إلى كندا واليابان وسامويون .

1930 عودة إلى إنجلترا وفرنسا وألمانيا وسويسرا وروسيا .

عرض رسومه في برمنجهام ولندن وبعض العواصم الأوروبية .

1932 رحل إلى العراق وإيران بطريق الجو . وفاة حفيده الوحيد .

1933 وكان في هذه المرحلة قد جاوز السبعين من العمر فاستراح إلى الإقامة في بلاده
وكف عن التجوال سوى رحلة قصيرة قام بها إلى سيلان .

1940 آخر لقاءات طاغور مع غاندي في ساتي نكتان . جامعة اكسفورد تعقد اجتماعا
في ساتينيكتان لمنحه درجة الدكتوراه الفخرية . وهو شرف لم يحظ به غيره
من قبل ، فالمعروف أن الجامعات تمنح هذا التكريم في مقارها التاريخية .

1941 في يوم 17 اغسطس من هذا العام توفي الشاعر العظيم في الثمانين من عمره في
البيت الذي ولد فيه فبكاه العالم وفقد فيه شاعرا من شعراء الإنسانية الكبار .

1948 اغتيال غاندي .

1949 إعلان استقلال الهند .

من قصائد الأمل والتّحدّي

من شعر الأمل والتحدي

الْبَحُورُ يَذُوبُ لِيَتَحَلَّلَ فِي الْعِطْرِ
 وَالْعِطْرُ يَذُوبُ لِكَي يَلْتَحِمَ بِالْبَحُورِ
 وَالنَّعْمُ يَسْعَى لِمُعَانَقَةِ الْإِيقَاعِ
 بَيْنَمَا يَعُودُ الْإِيقَاعُ مُتَدَفِّقًا فِي النَّعْمِ
 وَالْفِكْرَةُ تَبْحَثُ عَنْ هَيَاتِهَا فِي الصُّورَةِ
 وَالصُّورَةُ تَبْحَثُ عَنْ حُرِّيَّتِهَا فِي الْفِكْرَةِ
 وَاللَّانِيهَاتِي يَبْحَثُ عَنْ لَمَسَةِ النَّهَائِي
 وَالنَّهَائِي يَبْحَثُ عَنْ انْعِتَاقِهِ فِي اللَّانِيهَاتِي
 أَيَّ مَاسَاقٍ هَذِهِ تَجْرِي بَيْنَ الْخُلُقِ وَالتَّذْمِيرِ
 وَهَذِهِ الْحَالَةُ بَيْنَ الْفِكْرَةِ وَالصُّورَةِ
 الْعُبُودِيَّةُ تُصَارِعُ الْحُرِّيَّةَ
 وَالْحُرِّيَّةُ تَبْحَثُ عَنْ رَاحَتِهَا فِي الْعُبُودِيَّةِ

قاهر الموت

عِنْدَمَا كُنْتُ بَعِيداً عَنْكَ
كُنْتُ أَفَكِّرُ أَنَّكَ قَاهِرٌ لَا يُغْلَبُ
وَقَاسٍ لَا يَرْحَمُ
وَأَنَّ الْعَالَمَ كُلَّهُ يَرْتَجِفُ تَحْتَ قَدَمَيْكَ .
لَقَدْ كُنْتُ قَاسِيّاً حَقّاً
وَكَانَ لِهَيْبِكَ النَّهْمُ
يَخْتَرِقُ قُلُوبَ الْمَحْرُومِ
وَحَرَبَتُكَ تُنْزِلُ الرُّعْدَ
وَلَكِنِّي اقْتَرَبْتُ مِنْكَ بِقَلْبٍ مُرْتَجِفٍ
وَكَانَ جَيْبُكَ الْمُقَطَّبُ يُنْزِلُ بِالْدَّمَارِ الْقَرِيبِ
وَهَبَّتْ عَاصِفَةٌ

فَاهْتَزَّ لَهَا وَجُودِي كُلُّهُ
وَسَأَلْتُ
أَلَمْ تَعُدْ تَبْلُغُنَا آخِرَ رُغُودِكَ؟
وَقَصَفَ الرَّعْدُ
أَهَذَا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ؟ أَلَيْسَ هُنَاكَ شَيْءٌ آخَرُ؟
وَعِنْدَمَا رُفِعَ سَيْفُكَ
ذَهَبَ خَوْفِي
لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنَّكَ أَكْبَرُ مِنِّي
وَنَزَلْتَ مِن عَلَيَاثِكَ إِلَى الْأَرْضِ
حَيْثُ أُقِيمُ
لَقَدْ صِرْتَ الْيَوْمَ فِي نَظَرِي مَخْلُوفًا صَغِيرًا
وَخَوْفِي مِنْكَ قَدْ تَبَدَّدَ
وَمَهْمَا كُنْتُ كَبِيرًا
فَلَنْ تَكُونَ أَكْبَرَ مِنَ الْمَوْتِ
وَلَكِنِّي أَنَا؟

أَنَا أَكْبَرُ مِنَ الْمَوْتِ
وَسَأُعْلِنُ ذَلِكَ عِنْدَمَا أُغَادِرُ هَذِهِ الْأَرْضَ

* * *

سؤال

يَا إِلَهِي
لَقَدْ أَرْسَلْتُ رُسُلَكَ إِلَى هَذَا الْعَالَمِ الْكَرِيه
عَصْرًا بَعْدَ عَصْرٍ
وَقَدْ هَتَفُوا فِي النَّاسِ :
اطْرَحُوا مِنْ قُلُوبِكُمْ كُلَّ رَغْبَةٍ فِي الشَّرِّ
وَاعْفِرُوا وَأَحْيُوا
إِنَّهُمْ سَادَاتُنَا
وَفِي تَقْدِيرِنَا لَهُمْ
نَحْفَظُ ذِكْرَهُمْ
وَلَكِنِّي فِي هَذَا الْيَوْمِ
سَرَّحْتُهُمْ جَمِيعاً
بِتَحِيَّةٍ فَارِغَةٍ جَوْفَاءَ

لَقَدْ رَأَيْتَ الشَّرَّ
يَقْتُلُ بِحُبِّهِ الْإِنْسَانَ الْأَعْزَلَ
وَالسُّلْطَةَ الْوَقِيحَةَ تَخْتَنُقُ صَوْتَ الْعَدْلِ
الَّذِي كَانَ يَبْكِي فِي غُرْبَةٍ
وَرَأَيْتُ الشَّبَابَ الْغَضَّ يَحْتَجُّ فِي لَوْعَةٍ جَامِحَةٍ
وَيَضْرِبُ رَأْسَهُ ضِدَّ الصَّخْرِ الْجَامِدِ
الْيَوْمَ
تَعْطَلُ صَوْتِي
وَصَمَّتْ نَائِي
وَاخْتَفَى عَالَمِي فِي حُلْمٍ شَرِيرٍ
وَمَعَ ذَلِكَ فَاِنِي أَسْأَلُكَ مُتَضَرَّعًا بَاكِيًا
هَؤُلَاءِ الَّذِينَ سَمَّمُوا جَوْكَ
وَأَطْفَأُوا نُورَكَ
هَلْ غَفَرْتَ لَهُمْ وَعَفَوْتَ عَنْهُمْ؟
وَهَلْ شَمَلَهُمْ حُبُّكَ؟

النداء

لَقَدْ سَأَلْتُ وَأَعَدْتُ السُّؤَالَ
أَيْنَ سَتَنْتَظِرُنِي عَلَى حَافَةِ الطَّرِيقِ
وَأَيْنَ سَتَبْسِطُ لِي حَصِيرَكَ
فِي زَاوِيَةٍ مُنْعَزِلَةٍ؟
مَا كَدْتُ أَسْمَعُ نِدَاءَكَ يَتَرَدَّدُ فِي الْفَضَاءِ
حَتَّى أُسْرَعْتُ إِلَى الْمَرْجِ
الْمُبَلَّلِ بِالنَّدَى
وَالخَافِقِ بِالْأَضْوَاءِ
وَبَحَثْتُ عَنْكَ فِي هَمْسِ مُوسِيقَى النَّهْرِ الصَّائِحِبِ
وَسَمِعْتُ دَوْمًا نَائِكَ يَعْزِفُ أَنْعَامَهُ
حَيْثُ السُّحْبُ تَخْلُقُ بِالْوَايِهَا الْمُخْتَلِفَةِ عَالَمَ (مَآيَا)
وَحَيْثُ الظَّلَالُ تَتَلَاعَبُ فَوْقَ الْمَاءِ

وَطَائِرُ الْقُمْرِي يَقْفِزُ عَلَى أَغْصَانِ الشَّجَرِ
 وَتَوَاصَلَ نِدَاءُ نَفِيرِكَ كَمَا لَوْ كَانَ يَبْحَثُ عَنِّي
 وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ عَقْلِي لَمْ يَنْهَضْ مِنْ فُتُورِهِ
 وَلَمْ أَهْرَعْ حَتَّى إِلَى الْخَارِجِ لِمُلَاقَاكَ
 بَلْ وَقَفْتُ مُتَمَهِّلاً مُتَبَاطِئاً عِنْدَ الْبَابِ
 لَقَدْ سَمِعْتُ نِدَاءَكَ هُنَاكَ
 حَيْثُ يُحْتَقَرُ الْإِنْسَانُ
 وَحَيْثُ الثُّورُ يَمُوتُ فِي قَلْبِ الْمَكْرُوبِ
 وَحَيْثُ السَّجِينُ يَبْكِي فِي زِنَانَتِهِ
 وَحَيْثُ الْأَسَاسُ الصَّخْرِيُّ يَهْتَزُّ
 وَحَيْثُ النَّارُ الدَّاخِلِيَّةُ تُرْجِفُ الْأَرْضَ
 وَحَيْثُ سَلَاسِلُ الْعُصُورِ تَرْتَمِي مَكْسُورَةً

* * *

الدين الزائف

أُولَئِكَ الَّذِينَ يُعَانِقُونَ الْوَهْمَ بِاسْمِ الدِّينِ
يَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ .
حَتَّى الْمُلْحِدُ يَحْصُلَ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ
فَلَا تَفْخَرْ بِدِينِكَ
إِنَّهُ يُوقِدُ فِي خُشُوعٍ مِصْبَاحَ الْعَقْلِ
وَيُقَدِّمُ تَمَجِّدَهُ لَا إِلَى الْكُتُبِ
وَلَكِنْ لِكُلِّ شَيْءٍ طَيِّبٍ فِي الْإِنْسَانِ
إِنْ الطَّائِفِي يَلْعَنُ دِينَهُ
حِينَ يَقْتُلُ إِنْسَانًا مِنْ غَيْرِ دِينِهِ
وَهُوَ لَا يَقُومُ السُّلُوكَ عَلَى ضَوْءِ الْعَقْلِ
وَيَرْفَعُ فِي الْمَعْبَدِ
الْعَلَمَ الْمُلْتَطَخَ بِالدِّمَاءِ

وَيَعْبُدُ الشَّيْطَانَ فِي صُورَةِ الْإِلَهِ
كُلُّ هَذَا الَّذِي تَمَّ عَبْرَ الْأَحْقَابِ وَالْعُصُورِ
مَخْجِلٌ وَوَحْشِيٌّ
قَدْ وَجَدَ مَلَأْذَهُ فِي مَعَابِدِكُمْ الَّتِي تَحَوَّلَتْ إِلَى سُجُونٍ
لَقَدْ سَمِعْتُ أَصْوَاتَ أَبْوَابِ التَّدْمِيرِ
تَبْلُغُ الزَّمَنَ بِمِكَنَسَتِهَا الْجَارِفَةِ
لِتَكْنِسَ كُلَّ الْمُهِمَلَاتِ .
كُلُّ مَا يُحَرِّرُ الْإِنْسَانَ
يُحَوِّلُونَهُ إِلَى قُبُودٍ .
وَكُلُّ مَا يُوَحِّدُهُ
يُحَوِّلُونَهُ إِلَى سَيُوفٍ .
وَكُلُّ مَا يَحْمِلُ الْحُبَّ
مِنْ النَّبْعِ الْخَالِدِ
يُحَوِّلُونَهُ إِلَى سُجُونٍ .
يُحَاوِلُونَ اجْتِنَازَ النَّهْرِ

فِي سَفِينَةٍ مَثْقُوبَةٍ .
يَا إِلَهِي
دَمِّرِ الدِّينَ الزَّائِفَ
وَانْقِذِ الْأَعْمَى
وَلْتَهَشَّمْ ، وَلْتَهَشَّمْ
الْمَعْبُدُ الْمُلْطَخُ بِالدِّمَاءِ
وَدَعْ هَزِيمَ الرَّعْدِ يَنْقِذَ إِلَى سِجْنِ الدِّينِ الزَّائِفِ
وَاحْمِلْ إِلَى هَذِهِ الْأَرْضِ التَّعْسَةَ
نُورَ الْمَعْرِفَةِ

* * *

الرحال

أَيُّهَا الْعَابِرُ
أَنْتَ وَحَدَّكَ
كَيْفَ يُمَكِّنُكَ أَنْ تُبْصِرَ الْمَجْهُولَ الْكَامِنَ فِي أَعْمَاقِكَ؟
لَقَدْ تَابَعْتَ أَثْنَاءَ اللَّيْلِ
السَّيْرَ فِي الدَّرَبِ الَّذِي لَمْ تَطْرُقْهُ مِنْ قَبْلُ
وَرَأَيْتَ الْمُرْشِدَ فِي السَّمَاءِ
وَكُنْتَ تَسِيرُ وَحَدَّكَ
وَتَسَلَّقْتَ وَحَدَّكَ الْقِمَّةَ الْعَالِيَةَ الَّتِي تُسَافِرُ مِنْهَا
نَجْمَةُ الصَّبَاحِ فِي رِحْلَةٍ مَعَ النُّورِ
إِنَّ الشَّلَالَ الَّذِي يَتَوَلَّدُ مِنْ دِفْءِ أَبْرِيلِ
يَحْمِلُ رُؤْيَا مُسْتَقْبَلِهِ الْبَعِيدِ
وَجَمَالَهُ يُفُوقُ الْوَصْفَ

« أنا موجود ، أَنَا مَوْجُود »

هَذِهِ التَّرْدِيدَةُ تُزْهِرُ

وَسَمَاعٌ نِدَائِهَا

يَجْعَلُ المِيَاهَ تَجْرِي نَحْوَ المَجْهُولِ

وَبِمِثْلِ ذَلِكَ ، تَهْمِسُ الرِّسَالَةُ الصَّامِتَةُ

وَيَتَرَدَّدُ صِدَاها فِي أَعْمَاقِكَ

وَفِي كُلِّ تَنْهِيدَةٍ يَتَرَدَّدُ الجَوَابُ الكَبِيرُ

« أنا مَوْجُود ، أَنَا مَوْجُود »

والصُّخُورُ الكَبِيرَةُ

تُعْرِقِلُ الطَّرِيقَ

وَتُرَدِّدُ التَّحْذِيرَ

كَلَا . . كَلَا . . كَلَا

وَالْأَمْوَاجُ تَهْدُرُ ضِدَّ المَادَّةِ الجَامِدَةِ

وَالشَّكَّ يَرْفَعُ إصْبَعَهُ

وَيَرْتَجِفُ الجَبَانُ

وَالْعَقْلُ الْكَسُولُ يَسْتَدْعِي الْخَوْفَ
وَفِي بَحْثِهِ عَنِ الْخَلَاصِ
يَنْتَهِي إِلَى الْمَوْتِ .
فِي الدَّرْبِ الضَّيِّقِ لِلْحَيَاةِ الْجَدِيدَةِ
أَنْتَ الرَّحَالُ الَّذِي يَتَجَاهَلُ كُلَّ حَدٍّ
فَيَسْتَوْلِي عَلَى الْمَنِيْعِ
وَفِي كُلِّ خُطْوَةٍ يَتَرَدَّدُ الْجَوَابُ
« أَنَا مَوْجُودٌ ، أَنَا مَوْجُودٌ »

الدائم التحرك

بِصْرَخَةٍ يَأْتِسَةُ :

لَا تَرْحَلْ

مَنْ الَّذِي يَدْعُو إِلَى الْوَرَاءِ؟

أَيْنَ هُوَ ذَلِكَ الرَّبَاطُ

الَّذِي يَجْعَلُ اللَّامَحْدُودَ مَحْدُودًا؟

إِنِ الْكَوْنُ مِثْلُ سَيْلٍ دَافِقٍ

يَجْرِي جَارِفًا كُلَّ شَيْءٍ

فِي الْابْتِسَامِ وَالْدُمُوعِ

كَلَّا: كَلَّا: كَلَّا.

هَذِهِ الصَّرَخَةُ قَدْ سُمِعَتْ فِيمَا أَبْعَدَ

مِنْ بَحْرِ الزَّمَنِ الْعَظِيمِ

وَيَتَرَدَّدُ صَدَاهَا فِي طَبْلِ (رودرا) الرَّهِيْبِ

أُيْهِيَ الْفِكْرُ
دَعْ خَلْقَكَ كُلَّ شَهْوَةٍ، كُلَّ خَوْفٍ، وَكُلَّ عَنَاءٍ
إِنْ نَهَرَ الْخُلُقَ
لَيْسَ سِوَى السَّيْلِ الَّذِي لَا حَدَّ لَهُ مِنَ التَّدْمِيرِ
وَكُلُّ شَيْءٍ يَمْضِي
وَالآنَ . . أَنَا أُحِبُّ
بَيْنَمَا
تَتَأَلَّقُ ابْتِسَامَةُ الْوُجُودِ فِي سَيْلِهَا الْبَهِيْجِ .
وَسَطَ التَّدْمِيرِ
وَمِنْ (فِينَا) الْمَوْتُ
يَنْسَكِبُ نَشِيدُ الْحَيَاةِ
وَمِنْ وَقْتٍ إِلَى آخِرِ
وَفِي أَعْمَاقِ قَلْبِهَا
يَرْتَجِفُ بِلُطْفِ
مِصْبَاحِ الْأَبَدِيَّةِ

مُضِيئًا سَرَابَ لَحْظَةٍ .
إِنْ نَهَرَ الدُّمُوعَ الْمَجْهُولُ
يَحْمِلُ فِي تَيَّارِهِ الْجَارِفِ
حُبَّ الْأُمِّ
وَرِسَالَةَ الْعَاشِقِ .
وَفِي مَيْدَانِ مَعْرَكَةِ الدَّمَارِ
فَإِنَّ شَجَاعَةَ الْبَطْلِ كُنْزُ جَمَالٍ لِلْأَرْضِ .
وَمَدَى الزَّمَنِ لَا يَقِيسُ قِيَمَةَ الْعَطِيَّةِ
الَّتِي يُسَكِّبُهَا اللَّائِيهَاتِي
فِي الْأَيْدِي الْمَمْدُودَةِ فِي هَيَاةِ كَأْسِ .
الْعَابِرِ الْفَانِي
طَالَمَا ظَلَّ مُسْتَمِرًّا
فَقَوِّمُهُ بِحَيَاتِكَ كُلِّهَا
وَحِينَ تَبْتَغِدُ عَرَبَةَ الْوَدَاعِ عَنِ الْمَاضِي
نَاسِيَةً نَفْسَهَا وَمُغْنِيَةً أَنَاثِيْدَ النَّصْرِ

أَفْسَحِ الطَّرِيقَ
لَقَدْ اسْتَوَلَى عَلَيْكَ الْأَسَى
حِينَ كُنْتَ فِي الْأَرْضِ الصَّغِيرَةِ
وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَجَلِ مَا هُوَ مَوْجُودٌ
فِيمَا وَرَاءَ الْحَيَاةِ
إِنَّهُ يَعِيشُ فِي قَلْبِ الْوُجُودِ
إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي صَبِيغَةِ أَكِيدَةِ فَيْشَكْلِ آخِرُ
فَاخْرُجْ مِنْ بَثْرِكَ الْعَمِيقَةِ
تَحْتَ الْقُبَّةِ السَّمَاوِيَّةِ
وَانْظُرْ شَكْلًا سَعِيدًا مِنْ أَشْكَالِ التَّدْمِيرِ
أَيُّهَا الْمُتَأَلِّمُ
إِنْ فَقَّاعَةُ لَوْعَتِكَ
تَتَلَاشَى
فِي مُحِيطِ اللَّامُؤْلِمِ

* * *

الطريق المفتوحة

لِتَبْعُدْ
وَلتُفْسِحْ الطَّرِيقَ
إِنَّ عَقْلَكَ يَنْوُءُ تَحْتَ وَطْأَةِ الشَّكِّ
وَمَجْرَى الْحَيَاةِ يَسِيلُ بِبُطْءٍ
عَلَى أَنْغَامِ مُوسِيقَى الْمِيَاءِ الرَّقْرَاقَةِ
وَشَطْحَاتِ الْبَهْجَةِ الْمُتَشِّبَةِ .
إِنَّ أَمْوَاجَهُ وَحْدَهَا هِيَ الَّتِي تُخَفِّفُ ثِقَلَ الْمَاضِي
وَبِاخْتِنَاقِهَا الْمُقْبِلِ
تُعَدِّلُ طُرُقَ الْحَيَاةِ الْمُتَلَوِّيَةِ .
وَدَوِيُّهَا يَحِلُّ عُقْدَ شَبَكَةِ الْحَيَاةِ
وَيُطَهِّرُهَا مِنْ كُلِّ عَذْوَى .
وَتَطْوِي سَامَ الْأَيَّامِ

إِنَّهَا كَالسُّحُبِ الَّتِي تَشْرَبُ فِي ضَوْءِ الصَّبَاحِ
 وَهِيَ مِثْلُ أَمْوَاجِ الْبَحْرِ الَّتِي لَا تُحْصَى
 وَمِثْلُ زَفْرَةِ الرِّيحِ الَّتِي تَهْبُ بِلَا هَدَفٍ
 وَمِثْلُ حَفِيفِ الشَّجَرِ الَّذِي لَا يَتَوَقَّفُ
 وَالَّذِي يُبْهِجُ قَلْبَ الْأَرْضِ
 إِنَّهَا مِثْلُ الشُّعَاعِ الْأَوَّلِ لِلضِّيَاءِ
 يَنْبَعِثُ عَلَى حَافَةِ اللَّيْلَةِ السَّالِفَةِ
 إِنَّهُمْ أَطْفَالٌ يَمْرَحُونَ عِنْدَ الشَّاطِئِ
 وَعَذَارَى تَشْعُرُ بِشَبَابِهَا الْفَيَّاضِ
 وَقُيُودُهُمْ تُرَدَّدُ صَدَى أُغْنِيَةِ الْحُرِّيَّةِ
 لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ خَوْفٌ
 وَلَا قَلَقٌ عَلَى الْمُسْتَقْبَلِ
 وَفِي الْمُسْتَقْبَلِ هُمْ الْفَائِزُونَ
 وَعِنْدَ نِدَاءِ الْمَجْهُولِ
 يَظْهَرُونَ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ وَحَدَبٍ

فِي الظَّلَامِ ، وَفِي النُّورِ
وَيَنْدَفِعُونَ لِمُوجَّهَةِ الْوَقَائِعِ
عِنْدَ حُلُولِهَا
لِتَنْدَهَبَ بَعِيداً
أَيُّهَا الْجَبَانُ الَّذِي يَنْوُءُ بِثِقَلِ الشَّكِّ

* * *

الشرق

اسْتَيْقِظْ ، أَيُّهَا الشَّرْقُ الْعَرِيقُ
 إن ليلَ العصورِ المظلمِ
 قد دَثَرَ بِظُلُمَاتِهِ الْكَثِيفَةِ
 وَبَيْنَ يَقْظَتِكَ وَمَنَامِكَ
 بَدَدَكَ فِي بَحْرِ النَّسِيَانِ
 اسْتَيْقِظْ أَيُّهَا الشَّرْقُ الْعَرِيقُ
 إن أنعامَ الحياةِ المتنوعةِ قد خَفَّتْ
 كَمَا تَخَفْتُ أَنْعَامُ الْحَبَاجِ الْمُحْتَضِرَةِ
 فَتَى يَرْقُصُ فِي نَبْضِكَ مِنْ جَدِيدٍ
 نِدَاءُ النُّورِ؟
 اسْتَيْقِظْ أَيُّهَا الشَّرْقُ الْعَرِيقُ
 مِنَ الَّذِي يَتْلَقَى رِسَالَتَهُ؟
 إِنِّي هُنَا فِي انْتِظَارِ اللَّحْظَةِ

التي تحوّل فيها صخرة المقارنة بالفجر الجديد
 هذه الأرض، إلى ذهب
 استيقظ أيها الشرق العريقُ
 إني أتوسّل يديّن مضمومتين.
 في تحطيمك لجذوع العهد القديم
 يمكن للشكل الجديد أن يفتّح من جديد
 في المجد الزاهي للشمس التي تبرّغ
 استيقظ أيها الشرق العريقُ
 إن العهد الجديد يعلن عن نفسه في هذا الهتاف:
 افتح، افتح الباب، وبدّد الظلمة
 فالنور المتولد عن الألم والعناء
 سيأتى أمامك
 استيقظ أيها الشرق العريقُ

الإنسان الطائر

إِنَّ الْآلَةَ الْعُظْمَى جَعَلَتِ الْإِنْسَانَ طَائِرًا
وَأَذَعَّتِ الْيَابِسَةَ وَالْمَاءَ لِحَكِيمِهِ وَرَكَعَتْ تَحْتَ قَدَمَيْهِ
وَالْجَوُّ وَحْدَهُ ظِلٌّ حَرًّا
إِنَّ الْأَجْنِحَةَ هِيَ هِبَةُ اللَّهِ لِلطُّيُورِ
وَفَرَحَتْهَا تَتَفَتَّحُ وَتَتَجَلَّى فِي خُطُوطِ وَأَلْوَانِ
تِلْكَ الرَّحَالَاتِ الْمُتَعَدِّدَاتِ الْأَلْوَانِ
رَفِيقَاتِ الْغَيْمَةِ
تَتَمَيُّ إِلَى نَفْسٍ مَهَبِّ الرِّيحِ فِي السَّمَاءِ الزُّرْقَاءِ
وَلَعِبُهَا يَتَّفِقُ مَعَ إِيقَاعِ الرِّيحِ
وَأَنَاشِيدُهَا مَعَ أَلْحَانِ السَّمَاءِ
وَهَكَذَا فِي كُلِّ صَبَاحٍ

تَمْتَزِجُ يَقْظَتُهَا مَعَ يَقْظَةِ الْحَيَاةِ فِي الْغَابَاتِ
 وَمِثْلَ الْأَمْوَاجِ الْمَأْخُوذَةِ بِإِيقَاعِ رَقْصَتِهَا الْمُجْنَحَةِ
 تَلْهُو تِلْكَ الطُّيُورُ فِي ظِلِّ الْأَمْنِ الَّذِي يَسْرِي فِي السَّمَاوَاتِ .
 لَقَدْ حَمَلَتْ مِنْ عَصْرِ إِلَى عَصْرِ رِسَالَاتِ الْحَيَاةِ
 لِلْسَّمَاءِ ، وَلِلْغَابَةِ ، وَلِلْجِبَالِ
 وَلَكِنْ مَا الَّذِي يَحْدُثُ الْيَوْمَ ؟
 مِنَ الَّذِي يَفْهَمُ مَعْنَاهُ ؟
 إِنْ رَايَةَ التَّطَاوُلَ ، بِكِبَرِيَاءِ السُّلْطَةِ
 قَدْ نَشَرَتْ أَجْنِحَتَهَا
 وَلَمْ يُبَارِكْهَا إِلَهُ الْحَيَاةِ
 وَلَمْ تَحْتَضِنُهَا الْغَابَةُ
 وَلَمْ يَحْتَرَمْهَا الْقَمَرُ
 إِنَّهَا بِهِزَّ أَجْنِحَتِهَا
 وَبِزَمْجَرَةٍ صَوْتِهَا الْمُدَوِّي
 تُعْلِنُ عَنْ عُزْبَتِهَا فِي السَّمَاءِ

الْيَوْمَ . وَفِي التَّارِيخِ الَّذِي سَمَّمَهُ الْإِنْسَانُ
 تَدْعُو الْغُيُومَ
 وَبُضِيحَكَةَ ثَقِيلَةَ
 تُمَطِّرُ الْخَرَابَ مِنْ السَّمَاوَاتِ
 إِنِّي أَشْعُرُ أَنَّهُ قَدْ حَانَتْ نِهَآيَةُ عَصْرِ
 إِنْ الْفَوْضَى مِثْلَ الْأَسَدِ الْغَضُوبِ
 لَا يَتَحَمَّلُ الْمُعَوَّقَاتِ
 وَالْغَيْرَةَ وَالْقَسْوَةَ تُوقِدَانِ لِهَيْبِ الْمَوْتِ
 تَرْفَعُ الرُّعْبَ إِلَى الْفِرْدَوْسِ
 إِذَا كَانَ هَذَا الْمَكَانَ يَعْنِي عَرْشَ اللَّهِ
 فَإِنَّهُ قَدْ دُئِسَ
 وَحِينَئِذٍ يَا (فَاجَارِيَانِي) إِلَهَ الرِّعْدِ
 فِي لَهَبِ التَّدْمِيرِ الْغَاضِبِ
 دَعِ صَوْتَ الرُّعْبِ
 يَضَعُ حَدًّا لِتَارِيخِ الْإِنْسَانِ

آه، أَصْنَعُ إِلَى الدَّعَوَاتِ الْمُوجِعَةِ
التي تَرْفَعُهَا الْأَرْضُ
وَدَعِ تَغْرِيدَ الطُّيُورِ
فِي الدُّرُوبِ الْخَضِرَاءِ، الزَّرْقَاءِ فِي الْعَابَةِ
يَقْصُ مَرَّةً أُخْرَى
رِسَالَتَكَ

* * *

أيتها الأرض

أيتها الأرض
لِتَقْبَلِي الْيَوْمَ تَحِيَّتي
أُخْرَ تَحِيَّة
تُرْفَعُ إِلَيْكَ فِي هَيْكَلِ الْيَوْمِ الَّذِي يَزُول
أَنْتِ بَطْلَةٌ ، يَتَحَقَّقُ فَرَحُكَ فِي الْأَبْطَالِ
أَنْتِ جَمِيلَةٌ وَقَاسِيَةٌ
امْرَأَةٌ وَرَجُلٌ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ
تُزْعِزِينَ حَيَاةَ الْإِنْسَانِ بِصِرَاعَاتٍ لَا تُطَاقُ .
بِالْيَدِ الْيُمْنَى تَمْلَأِينَ الْكَأْسَ بِالرَّحِيقِ
وَبِالْيُسْرَى تُبَدِّدِيهِ بَدَدًا .
وَفِي مَكَانٍ لَهْوِكَ يَتَرَدَّدُ صَدَى السَّخَرِيَةِ الصَّاخِبَةِ
إِنْ حَيَاةَ الْبَطْلِ ، وَرِثَ الْحَيَاةِ النَّبِيلَةِ

تُرْهِقِنَهَا وَتَجْعَلِينَهَا قَاسِيَةً
إِنَّكَ تَجْعَلِينَ مِنَ الْعَسِيرِ بُلُوغَ الْخَيْرِ
وَلَيْسَ فِي قَلْبِكَ رَحْمَةٌ لِلْبَائِسِ
إِنْ الصِّرَاعَ مِنْ أَجْلِ الْبَقَاءِ الَّذِي أَخْفَيْتَهُ
فِي أَشْجَارِكَ
يَظْهَرُ انْتِصَارُهُ فِي الثَّمَارِ وَالْغِلَالِ .
وَمِيدَانُ مَعْرَكَتِكَ الْكَرِيهِ
يَنْبَسِطُ عَلَى الْمَاءِ وَالْيَابِسِ
هُنَاكَ ، فِي مُوَاجَهَةِ الْمَوْتِ
تُغْلَنُ الرُّسَالَةُ الْفَائِزَةُ لِلْغَالِبِ
وَأَبْرَاجُ انْتِصَارَاتِ الْمَدِينَةِ
تَقُومُ عَلَى الدَّعَائِمِ الْمُوَسَّسَةِ عَلَى الْقَسْوَةِ
وَأَقْلُ الذُّنُوبِ تُكَافَأُ بِالذَّمَّارِ .
فِي الصَّفْحَةِ الْأُولَى مِنَ التَّارِيخِ
كَانَتْ سُلْطَةُ الْعِمْلَاقِ غَيْرَ مَحْدُودَةٍ

كَأَنسَانٍ، وَبَرَبْرِيٍّ، وَأَبْلَهٍ
 وَكَانَتْ أَصَابِعُهُ خَشِينَةً، وَيَدُهُ سَخِيفَةً
 وَبِالْقَضِيبِ فِي يَدِهِ نَشَرَ الدَّمَارَ الثَّامِ
 فَوْقَ الْيَابِسَةِ، وَفَوْقَ الْبَحْرِ
 وَبِالنَّارِ وَالْبُخَارِ أَدَارَ أَحْلَامِهِ الْمُنْحَرِفَةِ الضَّالَّةِ
 فِي أَعْمَاقِ السَّمَاءِ .
 وَحَقَّقَ لِنَفْسِهِ السِّيَادَةَ الْعُظْمَى عَلَى عَالَمِ الْجَمَادِ
 أَمَّا نَحْوُ الْحَقِيقَةِ الْحَيَّةِ فَقَدْ أَعْمَتْهُ الْغَيْرَةُ
 وَفِي أَقْرَبِ الْعُهُودِ إِلَيْنَا جَاءَ اللَّهُ
 وَغَنَّى تَرَائِيلَ «مَنْتَرَا» لِكَيْ يَرَوْضَ الْوَحْشَ
 وَأَهْيَنَتْ كِبَرِيَاءُ الْمَخْلُوقَاتِ الْفَاقِدَةَ لِلرُّوحِ
 فَجَلَسَتْ إِلَهَةَ الْحَيَاةِ
 نَاشِرَةً بِسَاطِهَا الْأَخْضَرَ
 وَانْدَفَعَ الْأَفْقُ عَلَى قِمَمِ الْهَضَابِ الشَّرْقِيَّةِ
 وَكَانَ الظَّلَامُ يَحُفُّ بِضِيْفِافِ الْبَحَارِ الْغَرْبِيَّةِ

حَامِلَةً كَأَسِ السَّلَامِ
 حَتَّى وَلَوْ كَانَ الْعِمْلَاقُ الْمُقَيَّدُ قَدْ هَذَا قَلِيلاً
 هَذَا الْبَرَبْرِيُّ الْأَوَّلَ يَتَّبِطُّ فِي تَارِيخِهِ
 وَإِلَى قَلْبِ النَّظَامِ حَمَلَ الْفَوْضَى
 وَحِينَ خَرَجَ مِنْ كَهْفِهِ الْمُظْلِمِ
 تَمَهَّلَ جُنُونُهُ فِي نَبْضِكَ
 وَكَانَتْ تَرَائِيلُ الْمَتَرِ الْإِلَهِيَّةِ
 يَتَرَدَّدُ صَدَاها الْعَمِيقِ الْمُدَوِّي لَيْلاً وَنَهَاراً
 فِي السَّمَاءِ، فِي الْهَوَاءِ، فِي الْغَابِ
 كَانَ شَيْطَانُكَ - الْأَفْعَى، شَيْبُهُ
 الْمُرُوضُ يَنْهَضُ مِنْ وَرَاءِ الْقَبْرِ.
 تَقْتِيلِينَ ذُرِّيَّتِكَ
 وَتَجْتَاحِينَ خَلْقِكَ
 وَخَيْرًا أَوْ شَرًّا فَقَدْ وَقَعُوا تَحْتَ أَقْدَامِكَ
 وَالْيَوْمَ فَلِإِنِّي أُحْيِي نَصْرَكَ الْجَمِيلَ - الْمُتَبَاهِي

وَيَقْلِبُ مُمَزَّقٍ وَمُهَانَ
وَبِكُلِّ جَسَدِي، وَكُلِّ فِكْرِي
أَلَمَسْتُ، وَأَفْهَمْتُ
الْحَرَكَةَ السِّرِّيَّةَ لِلْحَيَاةِ الَّتِي تُعَانِقُ كُلَّ شَيْءٍ
مِنَ الْمَوْتِ الَّذِي يُعَانِقُ كُلَّ شَيْءٍ
وَتَحْتَ هَذِهِ الْأَرْضِ، وَعَبْرَ أَحْقَابٍ لَا حَصَرَ لَهَا
كُدِّسَتْ الْأَجْسَادُ الْمَفْقُودَةُ
فِي هَذَا الرُّكَامِ الصَّامِتِ مِنَ التُّرَابِ
الَّذِي يَتَّبِعُ الْأَسْمَاءَ وَالْأَشْكَالَ
وَكُلَّ مَا كَانَ فِي يَوْمٍ مَا مَأْلُوفًا مَأْنُوسًا
حَتَّى أَنَا سَوْفَ أَتْرُكُهُ مِنْ وُجُودِي
قَبْضَةً مِنَ التُّرَابِ
نِهَايَةَ كُلِّ أَفْرَاحِي وَآلَامِي .

* * *

يَا عَالَمَ الْحُدُودِ الضَّيِّقَةِ
يَا أَيُّهَا الْعَالَمَ الَّذِي يَبْلُغُ السَّمَاءَ
أَيُّهَا الْعَالَمَ الْمُتَأَمِّلُ
الْغَارِقُ فِي الصَّمْتِ العميقِ بِقِمَمِ الْجِبَالِ
أَيُّهَا الْعَالَمَ الْمُحَاطُ بِالْبَحَارِ
الْمُتَرَدِّدُ صَوْتَهَا فِي مُوسِيقَى الْأَمْوَاجِ
الْمُهِيبَةُ الَّتِي لَا تَعْرِفُ الْعِيَاءَ
إِنَّكَ لَجَمِيلٌ فِي كَرَمِكَ وَجُودِكَ
وَلَكِنَّكَ مُرْعِبٌ مُفْزِعٌ فِي عَوَزِكَ وَفَقْرِكَ
فَمِنْ جِهَةٍ
تَبْدُو حُقُولُ الْأَرْضِ مَائِلَةً يَثْقُلُ سَنَايِلُهَا
غَيْرُ النَّاضِجَةِ
وَالنَّدَى الَّذِي يَتَحَلَّلُ مَعَ أَوَّلِ أَشِيعَةِ
الشَّمْسِ الْوَدِيعَةِ
وَالْغُرُوبِ الَّذِي يَتْرُكُ فَوْقَ بَيَادِرِ الْقَمَحِ

الْمُتَمَوِّجَةُ

رِسَالَتُهُ الصَّامِتَةِ . . إِنِّي لَمُبَارَكٌ

وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى

رَقِصَةُ الْوَهْمِ الشَّيْطَانِيَّةِ

بَيْنَ الْهَيْآكِلِ الْعَظِيمَةِ الْمُورَعَةِ فِي الصُّحْرَاءِ

مُخْتَرِفَةٍ، غَيْرَ مُشِيرَةٍ، شَاحِبَةٍ مِنَ الرُّعْبِ

وَفِي إِبْرِيلٍ شَاهَدْتُ إِعْصَارَكَ الْمُدَوِّيَّ

يَتَحَرَّكُ كَالنَّسْرِ الْمُتَقَصِّصُ عَلَى الْأَرْضِ

لِكَيْ يُبَدِّدَ كُلَّ أَفَقٍ .

وَزَمْجَرَتِ السَّمَاءُ وَزَارَتْ كَالْأَسَدِ

وَبِضْرَبَةٍ مِنْ ذَيْلِهِ

انْقَلَبَتِ الْغَابَةُ السَّائِكَةُ عَالِيهَا

وَدَانِيهَا

مِثْلَ أُسِيرٍ غَيْرِ مَغْلُولٍ

لَقَدْ قَلَبْتَ الرِّيحُ سُقُوفَ التَّيْنِ .

وفي الربيع
رَأَيْتَ مِنْ جَدِيدٍ، طَرَاوَتَكَ، وَرِيحَكَ
الْجَنُوبِيَّةَ تَنْشِيرَ
بَيْنَ بَرَاعِمِ الْمَآئِجِو الْمُعْطَرَّةِ
أُغْنِيَةَ اللَّقَاءِ وَالْإِفْتِرَاقِ
فِي تَحْدِثِي. الْإِعْصَارِ
وَحَفِيفِ الْأُورَاقِ الْقَلِقَةِ
انْطَلَقَ فِي صَرَخَةٍ فَرَحٍ.
أَيُّهَا الْعَالَمُ
أَنْتَ مَحْبُوبٌ وَقَاسٍ، قَدِيمٌ، وَجَدِيدٌ عَلَى الدَّوَامِ.
وَمِنْ نَارِ التَّضْحِيَّةِ عِنْدَ بَدَايَةِ الْخَلْقِ
نَهَضْتَ وَعَلَى رَأْسِكَ هَالَةٌ لَا تُنْسَى
وَفِي حَجِّكَ، وَعَلَى طُولِ دَرْبِكَ
زَرَعْتَ كَثِيرًا مِنْ خَرَائِبِ التَّارِيخِ
الَّتِي نَمَتْ بِلَا مَعْنَى

لَقَدْ نَشَرْتُ فِي شَرَائِحِ النَّسِيَانِ
مَحْلُوفَاتِكَ الْمَرْفُوضَةِ
يَا حَامِيَ الْحَيَاةِ
لَقَدْ غَدَّيْتُهَا فِي أَقْفَاصِ صَغِيرَةٍ مِنَ الزَّمَنِ الْهَارِبِ
وَفِي دَاخِلِهَا كَانَتْ تَكْمُنُ الْحُدُودُ
لِكُلِّ لُغْبَةٍ مِنْ لُغْبِ الْحَيَاةِ، لِكُلِّ نِهَآيَةٍ عَمَلٍ
إِنِّي أَلْتَمِسُ الْخُلُودَ
لِلْأَكْلِيلِ الَّذِي ضَمَّرْتُهُ لَكَ لَيْلًا وَنَهَارًا
أَثْنَاءَ رِحْلَةِ الْأَرْضِ حَوْلَ الشَّمْسِ
تَمْضِي وَتَأْتِي لَحَظَاتٌ عَدِيدَةٌ
فَإِذَا كَانَتْ فِي لَحْظَةٍ مِنْ لَحَظَاتِ هَذَا الزَّمَنِ
الْعَظِيمِ
أَعْطَيْتُ مَعْنَى أَوْ بَعْضَ مَعْنَى
وَإِذَا كُنْتُ بِلُوعَةٍ قُصُورِي قَدْ كَسَبْتُ
جُزْءًا خَصَبًا مِنَ الْحَيَاةِ

فَلتَضَع (تِيلاك) الأَرْضِي فَوْقَ جَبِينِي
تِلْكَ السِّمَّةُ الَّتِي تَتَلَاشَى عِنْدَ اللَّيْلِ
وَفِيهَا تَتَلَاشَى كُلُّ السِّمَّاتِ
فِي أَعْمَاقِ اللَّامَجْهُولِ
آه . أَيُّهَا الْعَالَمُ الرَّوَاقِي اللَّامُبَالِي
قَبْلَ أَنْ تُنْسَانِي بِصِفَةِ تَامَّةٍ
فَإِنِّي أَلَمَسَ قَدَمَكَ الْقَاسِيَةَ الْكَرِيهَةَ
بِأَخْرِ تَحِيَّاتِي

* * *

المنبذون

إِنَّهُمْ مَنبُذُونَ
بِلَا انْتِمَاءٍ إِلَى فِتَّةِ اجْتِمَاعِيَّةِ
لَا يَحِقُّ لَهُمْ أَنْ يُنْشِدُوا التَّرَاتِيلَ الْمُقَدَّسَةَ
وَأَمَامَ بَابِ الْهَيْكَلِ
فَإِنَّ الْكُهَّانَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ عَقِيدَةً
يُقِيمُونَ الْحَوَاجِزَ فِي الطَّرِيقِ
إِنَّهُمْ يَبْحَثُونَ عَنِ اللَّهِ فِي مَعْبَدِهِ
بَعِيداً عَنْ جَمِيعِ الْحَوَاجِزِ
فِي السَّمَاءِ الْعَامِرَةِ بِالنُّجُومِ
فِي الْغَابَةِ الْمُغَطَّاةِ بِالزُّهُورِ
وَفِي الْحُزْنِ الصَّدِّدِ
حَيْثُ الْعُشَّاقُ يَلْتَقُونَ وَيَفْتَرِقُونَ

تلك الرؤيا المطوّقة المُغلّقة إلى الله
تَقَعُ بَعِيداً عَنْ مُتَنَاوِلِهِمْ .
فِي حَيَاةٍ مَاضِيَةٍ
كَثِيراً مَا رَأَى ذَلِكَ الْعَابِدَ
عِنْدَ ضِيْفَانِ نَهْرٍ بَادِماً
النهرُ الذي يَنْحُرُ بِلاَ تَوَقُّفٍ
الْأُسُسَ الصَّلْبَةَ لِلْمَعْبَدِ الْقَدِيمِ
رَأَاهُ وَفِي يَدِهِ (الْإِكْثَارُ)
يَجُوبُ الطَّرِيقَ الْمُظْلِمَةَ الْمُنْعِرَةَ
بَاحِثاً عَنْ دَرَبِ الْوُصُولِ
إِلَى (إِنْسَانِ قَلْبِي)
شَاعِرٌ مِثْلِي
لَيْسَتْ لَهُ طَائِفَةٌ
لَا يُمَكِّنُهُ أَنْ يُشِيدَ التَّرَاتِيلَ الْمُقَدَّسَةَ
وَعِبَادَتِي لَمْ تَبْلُغْ أَبَداً هَذَا الْمَعْبَدَ

السِّجْنِ الْمُخَصَّصَ لِلَّهِ
فَجَاءَ الْكَاهِنُ إِلَى الْمَعْبَدِ وَسَأَلَنِي
بِاسْمِهِ:
هَلْ قَدِمْتَ وَاجِبَاتِ الْإِجْلَالِ لِإِلَهِكَ؟
فَأَجَبْتُهُ . . كَلَّا
أَلَا تَعْرِفُ الْقَوَاعِدَ وَالطَّرِيقَ؟
فَأَجَبْتُ . . كَلَّا
إِذَنْ أَنْتَ بِلَا طَائِفَةٍ؟
وَالْيَوْمَ أَفَكَّرْتُ فِي نَفْسِي
مَنْ هُوَ إِلَهِي؟
وَمَنْ الَّذِي عَبَدْتُ؟
اعْتَقَدْتُ إِنَّنِي عَبَدْتُ اللَّهَ هَذَا
الَّذِي كُنْتُ أَسْمَعُ اسْمَهُ عَلَى الدَّوَامِ
وَالَّذِي قَرَأْتُ عَنْهُ
فِي كِتَابَاتٍ كَثِيرَةٍ ، فِي لُغَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ

وَلَكِي أَظْهَرَ إِخْلَاصِي
فَلَقَدْ عَبْدُهُ بِعِنَايَةِ
وَالْيَوْمَ أَرَى أَنِّي لَمْ أَظْهَرَ ذَلِكَ فِي حَيَاتِي
لَيْسَتْ لَدَيَّ طَائِفَةٌ
لَا يُمَكِّنُنِي أَنْ أُنشِدَ التَّرَاتِيلَ الْمُقَدَّسَةَ
وَحِينَ تَبْلُغَ عِبَادَتِي
الْأَبْوَابَ الْمُغْلَقَةَ لِلْمَعَابِدِ
تَهْرُبُ بَعِيداً
بَعِيداً عَنْ كُلِّ حَاجِزٍ
إِلَى السَّمَاءِ الْعَامِرَةِ بِالنُّجُومِ
إِلَى الْغَابَةِ الْمُغَطَّاةِ بِالزُّهُورِ
إِلَى الطَّرِيقِ الْقَاسِيَةِ الْمُؤَلَّمَةِ
حَيْثُ يَلْتَقِي الْعُشَّاقُ وَيَفْتَرِقُونَ
وَكَأَيَّ طِفْلٍ
تَلَقَّيْتُ أَوَّلَ (الْمَنْتَرَا)

فِي يَوْمِ مِيلَادِ الْأَرْضِ
(فِي فَرْحَةِ قَلْبِي الْقَوِيَّةِ)
تَلَقَّيْتُهَا وَأَنَا جَالِسٌ فِي حَدِيقَتِي
بَيْنَ الْخَرَائِبِ وَالْجُدُرَانِ الْمُتَدَاعِيَةِ
وَوَسَطِ هَذِهِدَةِ حَفِيفِ أَوْرَاقِ جَوْزِ الْهِنْدِ.
إِنِ الْحَيَوِيَّةُ قَدْ نَزَلَتْ عَلَى تَدْفُقِ
نَبْعِ النَّارِ لِلْحَيَاةِ الْبِدَائِيَّةِ
وَأَعْطَتْنِي مَشَاعِيرُ مَا لَا يُعْبَرُ عَنْهُ
الرِّسَالَةَ الْغَامِضَةَ لِلْعُهُودِ الْقَصِيَّةِ
فَهَزَّتْ كُلَّ تَفْكِيرِي
الْأَشِيعَةَ الْحَيَّةَ لِوُجُودِي الذَّائِلِ
وَضَاعَتْ فِي الْجَسَدِ الْبُخَارِيَّ لِلشَّمْسِ الْقَدِيمَةِ
وَحِينَ تَأْمَلْتُ السُّهُولَ الشَّتَوِيَّةَ
بِلَا إِيمَارِ
أَحْسَسْتُ فِي قَلْقِ دَمِي

خُطوة النورِ الصَّامِتِ .
ذَلِكَ الصَّوْتُ لاحقني مُنْذُ المِيلَادِ
مُنْذُ بِدَايَةِ العُهُودِ القَدِيمَةِ .
وَحِينَ أَتَأَمَّلُهُ
فَإِنْ فِكْرِي يَنْبَسِطُ فِي مُعْجِزَةِ الزَّمَنِ اللَّائِهَائِي
فِي الحَجِّ إِلَى حَيَاةِ الخَلْقِ
وَأَظْلٌ يَقْظًا فِي ذَلِكَ النُّورِ
حَيْثُ مَرَّتْ بِهِ عُهُودٌ عَدِيدَةٌ
وَفِيهِ يَضْطَجِعُ مُسْتَقْبَلِي النَّائِمِ
وَعِبَادَتِي يَتِمُّ كُلُّ يَوْمٍ
فِي فَرْحَةٍ هَذِهِ اليَقْظَةِ .
لَيْسَتْ لِي طَائِفَةٌ
وَلَا يُمَكِّنِي أَنْ أُشِيدَ التَّرَاتِيلَ المُقَدَّسَةَ
وَلَا أَدْرِ لِمَنْ تُكْرَسُ
عِبَادَتِي غَيْرَ النَّفْعِيَّةِ

التي نَقَعَ أَبْعَدَ مِنْ أَيِّ طَقْسٍ دِينِي
وَمِنْ أَيِّ عَقِيدَةٍ .

بِلَا أَصْدِقَاءَ ، وَكَالطُّفْلِ الصَّغِيرِ
أُنْظُرُ إِلَى بَعِيدِ

وَأَعِيشُ أَيَّامِي فِي وَحْدَةٍ .

لَقَدْ وُلِدْتُ فِي عَالَمٍ

غَيْرِ مَحْبُوبٍ ، وَمُدْنَسٍ

عَالِمٍ بِلَا جُذُرَانٍ وَلَا شِعَارَاتِ النِّبَالَةِ

وَبُيُوتُ جِيرَانِي مُحَاطَةٌ بِأَسْوَارٍ أُخْرَى .

كُنْتُ طِفْلاً مَجْهُولاً ، خَارِجَ الطَّائِفَةِ

وَكَانَتْ لَهُمْ دُورٌ جَمِيلَةٌ يَغْشَاهَا النَّاسُ

وَمِنْ بَعِيدٍ كَانُوا يُلَاحِظُونَ حَرَكَةَ

الذَّهَابِ وَالْإِيَابِ

عَلَى طُولِ الطَّرِيقِ الْمُبْلُطَةِ .

لَيْسَتْ لَدَيَّ طَائِفَةٌ

وَلَا يُمَكِّنِي أَنْ أُغْنِيَ التَّرَاتِيلَ الْمُقَدَّسَةَ
وَالنَّاسُ الَّذِينَ تَرَبَّوْا عَلَى الطُّقُوسِ وَالْعَقَائِدِ
لَا يَعْتَرِفُونَ بِالْإِنْسَانِ فِي شَخْصِي وَلَا يَعْتَرِفُونَ عَلَيْهِ
وَإِذَنْ، فَقَدْ كُنْتُ أَلْعَبُ وَحْدِي فِي الطَّرِيقِ
وَكَانُوا يَجْتَازُونَنِي بَعِيداً بِأَرْدِيَّتِهِمُ الطَّوِيلَةَ
وَيَقْطِفُونَ الزُّهُورَ لِعِبَادَةِ إِلَهِهِمْ
زُهُورٌ مَقْطُوفَةٌ وَقَفّاً لِقَوَاعِدِ
الْكُتُبِ الْمُقَدَّسَةِ .
أَمَا أَنَا فَقَدْ أَغْفَلْتُ أَنْ أُقَدِّمَ لِإِلَهِي
زُهُوراً مِنْ كُلِّ الْبَقَاعِ
زُهُوراً بَارَكْتَهَا الشَّمْسُ نَفْسُهَا
وَأَهْمَلْتُهَا الْجُمُوعُ .
لَقَدْ تَشَرَّدْتُ شَوْقاً إِلَى التَّوْحِيدِ
بِالْإِنْسَانِ
وَالْبَيْتُ الْمِضْيَافُ لَمْ يَكُنْ

لَهُ جُدْرَانٌ وَلَا حُرَّاسٌ
وَبَعِيداً عَنِ الْجَمَاهِيرِ وَجَدْتُ أَصْدِقَاءَ
فِي وَحْدَتِي
أَصْدِقَاءَ مِنْ أَعْظَمِ عُهُودِ التَّارِيخِ
جَاءُوا بِالرَّسَالَةِ الْعُظْمَى .
إِنَّهُمْ أَبْطَالٌ ، وَفَائِزُونَ عَلَى الْمَوْتِ .
هُمْ أَصْدِقَائِي وَأَقْرَبَائِي
طَائِفَتِي وَسُلَّالَتِي
وَقَدْ تَطَهَّرْتُ بِطَهَارَتِهِمْ الْخَالِدَةِ
كَأَنَّا قُصَادَ الْحَقِيقَةِ
يَعْبُدُونَ النُّورَ
جَدِيرِينَ بِامْتِلَاكِ (أَمْرِيئَا)
وَفِي الدَّائِرَةِ الضَّيِّقَةِ
أَضَعْتُ الْإِنْسَانَ
وَوَجَدْتُهُ هُنَاكَ

حَيْثُ يَتَجَاوَزُ حُدُودَ أَيِّ أَرْضٍ
 وَصَلَّيْتُ لَهُ بِأَيْدِي مَضْمُومَةٍ
 آه، أَيُّهَا الْإِنْسَانُ الْخَالِدُ
 أَنْتَ الَّذِي تَخْصُ كُلَّ الْبَشَرِ
 انْقِذْنِي مِنْ وَقَاحَةِ الْكِبَرِيَاءِ
 الَّتِي تَحْمِلُ طَائِعَ (الْإِقْصَاءِ)
 آه أَيُّهَا الْوَجُودُ الْعَظِيمُ
 لَقَدْ أَبْصَرْتُكَ أَبْعَدَ مِنْ حُدُودِ الظُّلْمَةِ
 إِنِّي مُبَارَكٌ، لَيْسَتْ لِي طَائِفَةٌ
 أَيُّ طَائِفَةٍ.
 وَفِي أَحَدِ أَيَّامِ الرَّبِيعِ
 جَاءَتْنِي امْرَأَةٌ
 فِي غَابَاتِي الْمُنْعَزِلَةِ
 فِي هَيْئَتِهِ الْعَاشِقَةِ اللَّطِيفَةِ
 جَاءَتْ لِكَيْ تُعْطِيَ لِأَغَانِي الْحَنَانِ

وَفَجْأَةً ، اخْتَرَقَتْ مَوْجَةً عَاصِيفَةً

ضِيفَافَ قَلْبِي

وَأَحْمَدْتُ كُلَّ لُغَةٍ

وَمِنْ شَفَقَتِي لَمْ أَئْسِ بِكَلِمَةٍ

كَانَتْ تَقِفُ إِلَى جِذْعِ شَجَرَةٍ

مُحَجَّبَةٍ

وَأَلَقْتُ نَظْرَةً عَلَى وَجْهِهِ الَّذِي

جَعَلَهُ الْأَلَمُ حَزِينًا

وَبِخُطَوَاتٍ سَرِيعَةٍ اقْتَرَبْتُ

مِنْهُ وَجَلَسْتُ بِجِوَارِي

وَأَخَذَتْ يَدِي فِي يَدَيْهَا

وَقَالَتْ :

أَنْتَ لَا تَعْرِفُنِي ، وَلَا أَنَا أَعْرِفُكَ

كَيْفَ يُمَكِّنُ لِذَلِكَ أَنْ يَكُونَ ؟

قُلْتُ :

سَوْفَ نُشِيدُ كِلَانَا جِسْرًا أَبَدِيًّا
بَيْنَ مَخْلُوقَيْنِ ، يَجْهَلُ كُلُّ مِنْهُمَا الْآخَرَ .
هَذِهِ الْأَعْجُوبَةُ الْقَاهِرَةُ
تَكْمُنُ فِي قَلْبِ الْأَشْيَاءِ
لَقَدْ أَحَبَّيْتُهَا .
تِيَّارُ مِنْ هَذَا الْحُبِّ
أَحَاطَ بِهَا فِي عِنَاقٍ هَادِيءٍ
مِثْلَ نَهْرِ الْقَرْيَةِ الْمَحْدُودِ الْعُمُقِ
ذَلِكَ التِّيَّارُ الَّذِي يَتَحَرَّكُ بِطُءٍ
يَتَدَفَّقُ قُرْبَ الضِّقَافِ الْمُنْخَفِضَةِ
لِلْحَيَاةِ الْيَوْمِيَّةِ الْعَادِيَةِ لِلْمَحْبُوبَةِ
وَعَالِيًا مَا يَجْعَلُهُ الْجَفَافُ نَحِيلًا هَزِيلًا
وَكَثِيرًا مَا يَمْلَأُهُ مَطَرٌ يُؤْلِيُو السَّخِيَّ مَاءً وَرَقْرَقَةً
كَانَ الْوَجْهُ الْمَأْلُوفُ

للمرأة التي أحبتُّها بغُضِّ المَرَّاتِ
 وخذعتُها مرَّاتٍ أُخْرَى .
 معما بِحِجَابِ اللَّامَعْنَى
 إِنْ السَّيْلَ الْآخِرَ لِذَلِكَ الْحُبِّ
 كَانَ يَحْمِلُ النَّدَاءَ الْعَظِيمَ مِنَ الْمُحِيطِ .
 وَمِنْ أَعْمَاقِهِ
 تَظْهَرُ امْرَأَةٌ نَبِيلَةٌ وَكَرِيمَةٌ
 بَعْدَ حَمَامٍ تَطْهِيْرِي فِي ذَلِكَ الْمَاءِ الْعَظِيمِ
 فِي هَيْئَةٍ دِيَانَا الْمَهْزُومَةِ .
 وَلَقَدْ نَفَذْتُ إِلَى عَقْلِي وَجَسَدِي
 خَالِيعَةً الْكَمَالَ عَلَيَّ وَعَلَى غِنَائِي
 لَقَدْ حَافَظْتُ عَلَى اللَّهِيْبِ الْخَالِدِ لِلْاِفْتِرَاقِ حَيًّا
 مَحْبُبًا فِي أَعْمَاقِ فِكْرِي
 رَأَيْتُ فِي النُّورِ لُطْفَهَا الْخَالِدِ
 وَرَأَيْتُهَا فِي تَدَفُّقِ الرَّبِيعِ بَيْنَ الزُّهُورِ وَالْأُورَاقِ

وَفِي شَرَارَةِ النُّورِ الشَّمْسِي
 الْمُوَزَّعِ مِنْ أَوْرَاقِ السَّيْشُو الْمُتَفَرِّقَةِ .
 لَقَدْ سَمِعْتُ النَّعْمَ
 الَّذِي عَزَفَ بِسُرْعَةٍ عَلَى أَوْتَارِ (سِتَار)
 حَوْلَ الْمَشْهَدِ الْمُتَغَيِّرِ لِلْفُصُولِ
 فِي النُّورِ وَفِي الظِّلِّ
 رَأَيْتُ رَقْصَةَ حُمْرِهَا الْمُتَعَدِّدَةِ
 الْأَلْوَانِ .
 لَقَدْ رَأَيْتُهَا جَالِسَةً قُرْبَ عَرْشِ (الْخَلْقِ)
 إِلَى يَسَارِ اللَّهِ
 وَرَأَيْتُ الْجَمَالَ حِينَ يُشْتَمُّ
 بِالِاتِّصَالِ غَيْرِ الطَّاهِرِ مَعَ الْمُشَوِّهِ .
 وَالكَرِيهِ
 وَالنَّيْرَانَ الْمُدْمَرَةَ الَّتِي تَقْدَحُ فِي عَيْنِي (رَدْرَانِي)
 جَفَفَتْ وَكَرَ التَّوْبَةُ الْخَفِيَّ

وَيَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ ، هُنَاكَ
جَمَعْتُ فِي أَغَانِيَّ
السِّرَّ الْأَوَّلَ لِلخَلْقِ ، وَكَشَفِ النُّورِ
وَالسِّرَّ الْأَخِيرَ لِلخَلْقِ ، وَهِيَ خِفَّةُ
الحُبِّ الْخَالِدَةِ
لَيْسَتْ لِي طَائِفَةٌ
وَلَا يُمَكِّنِي أَنْ أُغْنِيَ التَّرَاتِيلَ الدِّينِيَّةَ
وَبَعِيدًا عَنْ جَمِيعِ الْحَوَاجِزِ لِجَمِيعِ الْمَعَايِدِ
فَقَدْ تَمَّتِ الْيَوْمَ عِبَادَتِي
قَادِمًا مِنْ مَمْلَكَةِ اللَّهِ
مُنْتَهِيًا إِلَى مَمْلَكَةِ الْإِنْسَانِ
خَاتِمًا فِي السَّمَاءِ (الْوُجُودِ الْمُسْتَنِيرِ)
خَاتِمًا فِي الْفُرْحَةِ الْعَمِيقَةِ بِقَلْبِ
الْإِنْسَانِ

افريقيا

في ذَلِكَ الْعَهْدِ الْحَائِرِ
حِينَ لَمْ يُرْضَ الْخَالِقُ عَمَّا خَلَقَ
فَدَمَّرَ كُلَّ شَيْءٍ.
فَصَلَّكَ الْبَحْرُ الْغَاضِبُ
يَا إِفْرِيقِيَا
عَنْ حُضْنِ الْأَرْضِ الْقَدِيمَةِ
وَزِينِكَ بِالْغَابَاتِ الْكثِيفَةِ
الَّتِي لَا يَنْفُذُ إِلَيْهَا النُّورُ
وَهَنَّاكَ عِنْدَ الرَّوَايَا الْخَفِيَّةِ
جَمَعْتَ أَسْرَارَ اللَّامَفْهُومِ
وَفَكَكْتَ سِرَّ الْأَرْضِ
وَالسَّمَاءِ وَالْمَاءِ.
وَسِحْرَ الطَّيِّعَةِ

المتجاوزُ لِإِدْرَاكِ البَصَرِ الإنْسَانِي
 أَخَذَ يُنْضِجُ رِسَالَتَهُ الَّتِي لَمْ تَسْرُبْ
 يَا أَفْرِيْقِيَا، المَحْمِيَّةُ بِالشَّمْسِ
 المَتَدَّرَةُ بِحِجَابِ
 تَرْقُدُ إِنْسَانِيَّتُكَ تَحْتَ نَظَرَةِ كَدِرَةٍ
 عَامرةٌ بِالْاِحْتِقَارِ
 وَصَلَ صِيَادُو البَشَرِ
 بِجُدُوْعِهِمُ الحَدِيدِيَّةِ
 وَيَمِخَالِيهِمُ الَّتِي تَفُوقُ فِي حَدِيثِهَا مَخَالِبَ النُّمُورِ
 وَقَدْ أَعْمَى أَفْكَارُهُمُ الغُرُورُ
 فَكَانَتْ أَشَدَّ ظُلْمَةً مِنْ غَابَاتِكَ.
 وَالطَّمَعُ القَاسِي لِلْإِنْسَانِ المَتَمَدِّنِ
 عَرَّضَ نَفْسَهُ عَارِيًّا فِي خِزْيِهِ البَشَرِيِّ.
 وَدُرُوبَ الغَابَاتِ
 كَانَتْ تُرَدِّدُ صَدَى صِيْحَاتِكَ
 الحَالِيَةِ مِنَ الكَلِمَاتِ

وقد تَلَطَّختُ بالدماءِ والدموعِ .
 وأخذية اللصوصِ المسمرَّةِ
 تركتُ خلفها الأثرَ الذي لا يُمنحى
 في التاريخِ المخزي .
 وبالذاتِ ، وفي ذلكَ الوقتِ
 وفيما وراءَ البحارِ
 كانت الكنيستُ تدقُّ أجراسها
 داعيةً الناسَ إلى العبادةِ
 والأطفالُ كانوا يلعبون في أحضان أمهاتهم .
 وفي أناشيدِ الشعيرِ
 كانت ترتعشُ الإبهالاتُ إلى الله
 واليومَ ، حينَ تَخُنُّقُ الأصداغُ الليلَ
 وتخرجُ الحيواناتُ من جُحورها
 مُتنبئةً بنهايةِ عهدٍ
 تعالَ ، يا شاعرَ العهدِ الجديدِ
 لترتفعَ بينَ أضواءِ الغروبِ الواهيةِ

وأمامَ المخزيين
وتُعلّقُ، (لِتَغْفِرِي لِتَغْفِرِي)
فلتكنْ هذهِ رسالتكِ الأَخيرةُ
يا أفريقيّا

أَغْنِيَات

إِنَّ الصَّرْحَةَ الَّتِي تَتَعَالَى فِي أَعْمَاقِ قَلْبِي
 هِيَ أَيْضاً صَرْخَةُ أَرْضِكَ
 وَالْخَيْطُ الَّذِي تَشُدُّنِي بِهِ
 يَشُدُّهَا بِي أَيْضاً
 لَقَدْ بَحَثْتُ عَنْهَا فِي كُلِّ مَكَانٍ
 وَعَبَدْتُهَا فِي أَعْمَاقِي
 وَبَحَثْتُ هِيَ عَنِّي حَتَّى عِنْدَمَا كُنْتُ مُسْتَعْرِقاً فِي تِلْكَ الْعِبَادَةِ
 وَعَبَّرَ الْمُحِيطَاتِ الْوَاسِعَةِ جَاءَتْ لِتَسْرِقَ قَلْبِي
 وَنَسِيتَ الْعَوْدَةَ
 بَعْدَ أَنْ فَقَدْتَ كُلَّ أَشْيَائِهَا
 لَقَدْ خَانَهَا سِحْرُهَا الْجَذَابُ
 وَنَصَبْتَ الشَّبَّاكَ

دُونَ أَنْ تَذَرِي
هَلْ صَادَتْ، أَمْ صِيدَتْ

أَنْتِ
يَا آخِرَ نَجْمَةٍ عِنْدَ مَطْلَعِ الْفَجْرِ
دَعِي رِسَالَتَكَ
شِبْهَ النَّائِمَةِ وَالْخَفِيَّةِ
فِي زَهْرَةِ الْفَجْرِ الْأُولَى
لِيَقْدِرَ ذَلِكَ الَّذِي هُوَ مَصْدَرُ جَمِيعِ الْأَفْرَاحِ
أَنْ يُقَبِّلَنِي فِي حَيَاتِي الْجَدِيدَةِ
عِنْدَ نِهَآيَةِ تِلْكَ الْحَيَاةِ الَّتِي انْقَضَتْ
وَلِيُمْكِنَ لِكُلِّ أَحْلَامِ اللَّيْلِ أَنْ تُزْهِرَ
فِي أُغْنِيَاتِ جَدِيدَةٍ
فِي سَاعَةِ الْبَعْثِ
وَلِيُمْكِنَ لِهَذِهِ الْمُتَوَحِّدَةِ

المُقيمة في قلبي
أن تَبْدُو في ثوبِ الرِّفافِ
عندَ صَبَاحِ حَيَاتِي الجَدِيدَةِ

* * *

هَذَا (الأنا) الذي يَضْطَرُّ
على طُولِ مَوْجَةِ الزَّمَنِ
أراه مِنْ بَعِيدِ
مَعَ التُّرابِ والمَاءِ
مَعَ الثَّمَرِ والزَّهْرِ
ومَعَ كُلِّ شَيْءٍ أراه مُنْذَفِعاً
عَائِماً فَوْقَ السَّطْحِ
تَدْفَعُهُ الأمواجُ
رَاقِصاً عَلَى إِبْقَاعِ الفَرَحِ والأَلَمِ
وَتُؤَلِّمُهُ أَصْغَرَ الجِرَاحِ

أُراه مِنْ بَعِيدٍ
هَذَا (الأنَا) لَيْسَ أَنَايَ الْحَقِيقِيَّ
مَا زِلْتُ كَامِنًا فِي أَعْمَاقِ نَفْسِي
وَلَا أَضْطَرُّ فِي تَيَّارِ الْمَوْتِ
إِنِّي حُرٌّ، بِلَا شَهَوَاتٍ
إِنِّي سَلَامٌ
إِنِّي مُسْتَنِيرٌ
وَأُراه مِنْ بَعِيدٍ

يَا صَدِيقِي
إِنَّكَ لَفِي انْتِظَارِي
فِيمَا وَرَاءَ ضِيفِ الْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ
فِي السَّمَاءِ الصَّامِتَةِ فِي قَلْبِي.
عَرْشُكَ مَعْمُورٌ بِالنُّورِ.
وَبِأَيِّ أَمَلٍ وَفَرَحٍ أَتَجَبُّ إِلَيْهِ

وَأَتَوَسَّلُ إِلَيْهِ بِيَدَيْنِ مَقْتُوحَتَيْنِ .
 إِنَّ اللَّيْلَةَ الصَّامِتَةَ قَدْ نَشَرَتْ
 ضَفَائِرَهَا السَّوْدَاءَ حَوْلَ قَدَمَيْكَ
 وَهَذِهِ اللَّيْلَةُ ، أَيُّ أُغْنِيَةٍ تَمْلَأُ
 أَرْجَاءَ الْكَوْنِ ، سَتَهْبِطُ هَلْهِه
 الْأَرْضُ مَنَسَابَةً مِنْ مَعْزَفِكَ .
 إِنَّ الْأَرْضَ تَنْدَمِجُ فِي تَدْفُقِ الْأَنْعَامِ
 وَأَنَا أَضِيعُ فِي الْأَغْنِيَاتِ
 الَّتِي تَتَنَفَسُ كَأَبَةٍ

لَقَدْ انْتَهَى النَّهَارُ
 فَلْتَسْحَبْ عَنْ عَيْنِيَّ
 حِجَابَ نُورِ الشَّمْسِ الْغَارِبَةِ .
 فَفِي قَلْبِ الظَّلَامِ
 تَعِيشُ مَنَابِعُ النُّورِ الْخَالِدِ

فَلْتَسْكُبْهَا فِي أَعْمَاقِي .

وَاجْعَلْ فِي النِّهَايَةِ

كُلَّ الْكَلِمَاتِ

تَنْصَهْرُ وَتُصْبِحُ كَلِمَةً وَاحِدَةً .

وَدَاخِلَ قَلْبِ الصَّوْتِ الصَّامِتِ

اعْرِفْ تِلْكَ الْأَنْعَامَ الْخَالِدَةَ .

تِلْكَ الْأَنْعَامَ تَهْمِسُ إِلَى

أُذُنِي

* * *

حِينَ افْتَرَقْنَا، فَكُرْتُ

أَنَّ الدُّمُوعَ لَنْ تَكْفَ عَنْ الْإِنْسِكَابِ أَبَدًا.

وَيَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ

وَفِي غُبَارِ حَوَافِي الطَّرِيقِ

أُخِذَتِ الزُّهُورُ تَذْبُلُ

وَتَسَاقُطُ مِنْ إِكْلِيلِي
عَلَى غَيْرِ عِلْمِي
مَتَى يَسْقُطُ حِجَابُ النَّسِيَانِ فَوْقِي؟
وَتَدْرِيجِيَا أَخَذَ قَلْبِي يَقْسُو
وَفَكَّرْتُ فِي أَنْ الدُّمُوعَ لَنْ تَنْسَكِبَ أَبَدًا
آه، وَلَكِنْ حِينَ قَابَلْتُهَا فَجَاءَتْ،
فِي إِحْدَى زَوَايَا الطَّرُقِ
أُخِذَتْ تَنْهَمِرُ دُمُوعٌ لَا حَدَّ لَهَا.
حَتَّى فِي نَسْيَانِي
تَحَرَّكَتْ دَوْمًا أَمْوَاجٌ مِنَ الدُّمُوعِ

قَبْلَ أَنْ يَتَبَدَّدَ اللَّيْلُ
فَلْتُوَقَدْ مِصْبَاحَ حَيَاتِي
بِلَهْيِكَ
أَيْهَا الْحَبِيبُ الْأَثِيرِ

إِنِّي أَنْتَظِرُ الْمَسَاءَ
 حِينَ تَقْدِمُ إِلَيَّ
 سَالِكًا طُولَ الطَّرِيقِ
 حَامِلًا لِهَيْبِكَ
 وَقَلْبِي بِقِمَّتِهِ الْمُفَكَّرَةِ
 سَيَتَنَوَّرُ بِذَلِكَ اللَّهَبِ

إِن الْمَاءَ الْمَأْسُورَ فِي حِضْنِ الْأَرْضِ
 لَمْ تَعْثُرْ عَلَيْهِ الْأَرْضُ
 حِينَ هَرَبَ مِنْهَا إِلَى السَّمَاءِ الْبَعِيدَةِ .
 وَالْغُيُومَ الْكَثِيفَةَ رَسَمْتُ هُنَاكَ رُسُومًا غَامِضَةً .
 فَلَمْ تَعْثُرْ عَلَيْهِ الْأَرْضُ
 وَحِينَ ذَاكَ هَزَّهَا الرُّعْدُ بِنَارِ الْأَلَمِ
 وَالْعَاصِفَةُ الْمُتَرَجِّفَةُ دَفَعَتْ بِهِ إِلَى جَمِيعِ
 الْأَتِّجَاهَاتِ .

وَالْكَنْزُ الَّذِي كَانَ فِي وَقْتٍ مَا قَرِيبًا
عَادَ مِنْ جَدِيدٍ إِلَى الْقَلْبِ
فَجَاءَ فِي الدُّمُوعِ طُوفَانًا
وَهُنَاكَ وَجَدْتَهُ الْأَرْضُ فِي آخِرِ الْمَطَافِ

إِنَّ النُّورَ قَدْ غَابَ عَنِ اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ
وَوَصَلَ بِخُطُواتٍ لَطِيفَةٍ
وَحِينَ تَقْطَعُ هَذَا الطَّرِيقَ
سَتَعْرِفُ بَيْتِي الرَّيْفِي الْمُعْطَرَّ (بِالشَّامْبَاكِ)
الَّذِي يُزْهِرُ عَلَى جَانِبِ الْمَعْبَدِ
سَأُظِلُّ سَاهِرًا طُولَ اللَّيْلِ
وَسَوْفَ أُغْنِي
عَلَى أَمَلٍ فِي أَنْ تَبْلُغَكَ أُغْنِيَاتِي
وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ يَأْخُذَنِي النُّعَاسُ
فِي نَهَايَةِ اللَّيْلِ

وَمِنْ صَوْتِي الْمُرْهَقِ
تُخَفِّفِي الْأَلْحَانَ

آه، اجْعَلْ رُوحِي نَقِيَّةً
فِي شَلَالِ الضِّيَاءِ الصَّبَاحِيِّ
وَأَمْسَحْ عَنِّي الْعُبَارَ الَّذِي يُعْطِئُنِي وَيُخَفِّفُنِي
تِلْكَ النَّاعِسَةُ فِي أَعْمَاقِي الْمَأْخُودَةِ فِي شَبَاكِ النَّوْمِ
وَالْمِسْهَا بِلُطْفٍ بِالسُّوطِ الذَّهَبِيِّ لِحَبِينِ الْفَجْرِ
الْبَاكِرِ

إِنَّ الرِّيحَ تُهْبُ مِنْ قَلْبِ الْكَوْنِ
رِيحَ الْحَيَاةِ الْمَجْنُونَةِ، مُحَمَّلَةً بِالْأَغْنِيَاتِ
فَاجْعَلْ قَلْبِي يَتَجَاوَبُ بِلَمْسِهَا الرَّقِيقَةَ

* * *

مِصْبَاحُ الْأَرْضِ يَتَأَجَّجُ فِي حِضْنِ الْأُمِّ الْأَرْضِيَّةِ

وَنَجْمَةُ الْمَسَاءِ ، فِي هَيْئَةٍ تَأْمِلِيَّةٍ ، تَرُقُبُ
نُورَهَا .

إِن النُّورَ مِثْلَ النَّظَرَةِ الْقَلِيلَةِ لِلْمَحْبُوبِ الذَّاهِلِ عَنْ نَفْسِهِ
يَصِيبُ مِثْلَ الْخَوْفِ الَّذِي يَرْتَجِفُ فِي الْأَرْضِ
الْخَضِرَاءِ

وَيَنْبِضُ بِأَلَمٍ فِي الرِّيحِ الَّتِي لَا تَسْتَقِيرُ
إِن صَوْتَ نَجْمَةِ الْمَسَاءِ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاوَاتِ
حَامِلًا الْبَرَكَاتِ
وَاللَّهَبُ الْخَالِدُ مُتَشَوِّقٌ إِلَى التَّاجُجِ
وَالْاشْتِعَالِ فِي لَهَبٍ فَإِنْ .

فِي قَلْبِ الرُّعْدِ يَلْهُو النِّعَمُ
فَأَسْتَقِظُ عَلَى إِيقَاعِهِ
وَأَنْتَشِي بِتِلْكَ الْحَيَاةِ
الْمُخْتَفِيَّةِ فِي قَلْبِ الْمَوْتِ

عند اندفاع العاصفة
يرقص قلبي فرحاً
فانتزعني من حوض الراحة
وغطسني في العمق
حيث يسود الأمن في جلال
وسط القلق .

لقد أفعم كأس حياتي
بالرحيق الذي ملأته به
أنت لا تعرف، أنت لا تعرف
خفية، ودون أن يراك أحد
وكمثل الزهر الذي يغزو الليل يعطيه
أفعمت قلبي بأغانيك

أنت لا تعرف، أنت لا تعرف

لَقَدْ حَانَ وَقْتُ الْفِرَاقِ
 فَارْفَعْ وَجْهَكَ اللَّطِيفَ، وَحَدِّقْ فِيَّ
 وَبِمَوْتِ لَطِيفٍ أَهَبَ حَيَاتِي عِنْدَ قَدَمَيْكَ
 الشَّيْءَ الَّذِي لَمْ تَعْرِفْهُ، لَمْ تَعْرِفْهُ
 هَلْ يُمَكِّنُ لِلَّيْلَةِ الصَّامِتَةِ مِنَ الْأَلَمِ الْخَفِيِّ
 أَنْ تَنْتَهِيَ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ اللَّيْلِيَّةِ؟

بُنُورِ عَيْنِي
 رَأَيْتُ مَا هُوَ مَوْجُودٌ بِالْخَارِجِ
 أَمَّا الْآنَ وَقَدْ انْطَفَأَ هَذَا النُّورُ
 فَأِنِّي أَبْصِرُ دَاخِلِي
 لَقَدْ مَثَلْتُ مَعَكَ فِي مَسْرَحِ الْعَالَمِ
 فَاخُتُّمْ هَذِهِ التَّمْثِيلِيَّةَ
 لِيَبْدَأَ لِقَاءُ الْقُلُوبِ
 إِنْ أَوْتَارَ (فِينَا) قَدْ لُمِسَتْ

و(فينا) القلب مَا يَزَالُ يُغْنِي
الْمُسْنِي بِنَارِكَ
الْمُسْنِي بِنَارِكَ
اصْهَرُ وَطَهَّرْ حَيَاتِي
وَارْفَعْ جَسَدِي
وَاجْعَلْ مِنْهُ مِصْبَاحاً فِي مَعْبَدِكَ
وَاجْعَلْ مِنِ أَغَانِي
الزَّيْتِ الَّذِي يُوقِدُ اللُّهَيْبِ
فِي قَلْبِ اللَّيْلِ
تُزْهِرُ النُّجُومُ بِلَمَسَاتِكَ
وَلَوْعَتِي الْمُتَهَبَّةُ
تَرْتَفِعُ نَحْوَ السَّمَاءِ

نهاية اليوم

حِينَ يَصْنُتُ النَّاي
وَيَبْدُو النُّور
وحِينَ يُنْزَلُ السَّتَارُ عَلَى مَشْهَدِ الْحَيَاةِ
وَلَا يَجْتَمِعُ النَّاسُ لِإِرْثَاءِ الشَّاعِرِ
وَيَظِلُّ الرَّئِيسُ فِي بَيْتِهِ يَلْعَبُ الْوَرَقَ
وَلَا يَدْعُو إِلَى اجْتِمَاعِ إِحْيَاءِ الذُّكْرِ
أَعْرِفُ أَنَّ الزَّهْرَ هِيَ الَّتِي سَتَذْكُرُنِي
وَفِي كُلِّ مَكَانٍ حَوْلِي تَعْرِفُ النَّايَاتُ أَلْحَانَهَا
وَهِيَ تَحْتَفِلُ بِكُلِّ أَعْيَادِ الْفُصُولِ
فِي الرَّبِيعِ ، وَالْخَرِيفِ وَفِي مَوْسِمِ الْأَمْطَارِ
هُنَاكَ سَيُزِينُ مَكَانِي بِكُلِّ الْحُبِّ
فِي الطَّرَاوَةِ ، وَفِي الْإِخْضِرَارِ الْمُنْعِشِ

وصمّني المغمور بأغاني الطيور
وأعرفُ أن في الغابات
سيترددُ صدَى هذه الرّسالة
لقد أعطيتُ لأنغامهم كلمات الشاعر
سيترددُ صداها في قطرات المطر.
في رعدِ الغيوم
في ألوان الفجر الباكر
أعملُ على أن يُحفظَ ذكري
حيثُ حفيفُ الأوراق
وحيثُ الندى يتألقُ في بسمات خاطفة
وحيثُ الظلالُ تنامُ في ضوءِ الشمس
وحيثُ يبدو العملُ كأنّه تسليّة
وحيثُ يوقدُ المصباحُ في وحدة
والراحةُ تُغمّرُ وعاءَ العطايا
بأحلامٍ مُتعدّدةٍ الألوان

الجواب

لَا تَسْأَلْنِي
مَا هُوَ الْخَلَاصُ ؟
وَأَيْنَ يُوجَدُ ؟
لَسْتُ بِحَائِثًا ، وَلَكِنِّي شَاعِرٌ فَحَسَبُ
أَعِيشُ مُلْتَصِقًا بِهَذِهِ الْأَرْضِ
وَأَمَامِي يَجْرِي نَهْرُ الْحَيَاةِ
حَامِلًا فِي تَيَّارِهِ
النُّورَ وَالظِّلَّ
وَالْخَيْرَ وَالشَّرَّ
وَالرَّبِّحَ وَالْخَسَارَةَ
وَالدُمُوعَ وَالْإِبْتِسَامَ
كُلُّهَا أَشْيَاءٌ تَتَلَاشَى

ثُمَّ تُنْسَى
 وَعَلَى مِيَاهِ هَذَا النَّهْرِ
 يُطِيلُ الْفَجْرُ بِأَلْوَانِهِ الْعَمِيقَةِ
 وَيَنْشُرُ الْغُرُوبَ رِدَاءَهُ الْقُرْمُزِيَّ
 وَالْأَشْيَعُ الْقَمَرِيَّةُ تُنْزِلُ فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ
 كَلِمَاتِ الْأُمِّ الرَّقِيقَةِ النَّاعِمَةِ.
 وَالنُّجُومُ تُرْتِّلُ صَلَوَاتِهَا.
 وَعَلَى أَمْوَاجِهِ
 يَبُثُّ الْمَذْهُورِيُّ عَطَاءَهُ
 وَتَسْكُبُ الطُّيُورُ أَغَانِيَهَا.
 وَفِي ذَلِكَ الْإِقْبَاعِ
 تَتَلَاخَمُ عَبْدِيَّتِي وَحُرِّيَّتِي.
 لَا أُرِيدُ الْإِحْتِفَاطَ بِشَيْءٍ
 وَلَا التَّعَلُّقَ بِشَيْءٍ
 وَلَا الْارْتِبَاطَ بِرَوَابِطِ الْوَحْدَةِ وَالْإِنْفِصَالِ

وَلَكِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَتَمَوِّجَ مَعَ كُلِّ شَيْءٍ
رَافِعاً أَشْرِعَتِي لِلرَّيْحِ الزَّائِلَةِ الْعَابِرَةِ.
آه أَيُّهَا الْجَوَابُ الْعَظِيمُ
إِنَّ الطُّرُقَ الْعَشَرَ لَمَفْتُوحَةٌ أَمَامَكَ
لَيْسَ لَكَ هَيْكَلٌ
وَلَيْسَ لَكَ سَمَاءٌ
وَلَيْسَتْ لَكَ نِهَآيَةٌ أَخِيرَةٌ
وَفِي كُلِّ خُطْوَةٍ تَلْمَسُ الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ .
فِي السَّبْرِ مَعَكَ ،
أَنْتَ الَّذِي لَا يَعْرِفُ الرَّاحَةَ ،
أَجِدُ خَلَاصِي
فِي كُنُوزِ الرُّحَلَةِ
وَفِي نُورِ الظُّلْمَةِ
وَفِي صَفَحَاتِ الْخَلْقِ الْجَدِيدَةِ دَوِّماً
وَفِي كُلِّ لَحْظَةٍ تَحُلُلِ .

يَتَرَدَّدُ صَدَى
رَقْصِكَ وَغِنَائِكَ

* * *

انعتاق^(١)

أَنْتَ
أَيُّهَا الْجَمَالُ الْأَبَدِيُّ
هَبْنِي الْقُوَّةَ، وَاَعْطِنِي الشَّجَاعَةَ
اعْطِنِي سَمَاءَ الشُّعُورِ بِالرُّضَى
هَبْنِي الْإِنْعِتَاقَ اللَّامَحْدُودَ
مِنْ دَوْسِ التُّرَابِ الْيَوْمِيِّ
وَلَا تَدْعُنِي
أَتَرَّحُّ فِي سَيْلِ اللَّحْظَةِ الصَّاحِبِ .
فِي اسْتِلَابِ اللُّوْعَةِ الْمُرِيبِ
تَعِيشُ شَجَاعَةً لَا تَعْيَا فِي قَلْبِ (جُوتِي)
إِنَّهُ جَمِيلٌ وَلَطِيفٌ
حَتَّى وَلَوْ كَانَتْ قَطَرَاتُ الْمَطَرِ الدَّافِقَةِ

تُصِيبُهُ

وَلَكِنَّهَا تُفْعِمُ حَيَاتَهُ الدَّافِقَةَ بَانْسِجَامٍ مَعَ الْأَبَدِيَّةِ

إِنَّهُ يَتَوَجَّعُ بِلُطْفٍ بِسِيطٍ فَوْقَ فِرَاسٍ الشُّوْكَ

وَالْكَمَالُ يَنْعَكِسُ فِي قَلْبِهِ اللَّطِيفِ

أَعْطِنِي تِلْكَ الشَّجَاعَةَ الْهَادِثَةَ

الَّتِي تُحَصِّنُ نَسِيَّاهُ لِنَفْسِهِ .

جَمِيلَةً فِي مَحْدُودِيَّتِهَا

تِلْكَ الْبَسَاطَةُ الَّتِي لَا تَعْرِفُ الشُّكُوكَ .

فَلْتَوَحَّدْ فِي إِيقَاعٍ مِنَ الْأَمْنِ وَالطُّمَأْنِينَةِ

كُلُّ أَفْكَارِي وَكُلُّ تَعْبِيرِي

* * *

انعتاق (٢)

لِللهُ رُوبٍ بَعِيداً
بَعِيداً عَنِ نَفْسِي .
فَإِنِّي أَلْتَمِسُ لُطْفَكَ
وَدَعْوَتَكَ
أَيُّهَا الْعَظِيمُ اللَّامَنْظُورُ .
فَلْتَجْعَلْ أَلْحَانَ يُولِوِ الْمُطِيرِ
تَمَلُّاً قَلْبِي
وَتَعْرِيفَ فَوْقَ نَائِي
وَتُسْنِينِي
الصَّخْبَ الدَّائِمَ لِلْأَحْيَاءِ مِنْ حَوْلِي

وَجَذَبَ الْأَرْضِ تَحْتَ أَقْدَامِي
 إِنِّي أَنْتَظِرُ ثَابِتًا كُلَّ يَوْمٍ ، عِنْدَ حَافَةِ الطَّرِيقِ .
 إِنْ النَّهَارُ يَنْتَهِي .
 وَالظَّلَالُ تَزْدَادُ ظُلْمَةً .
 وَالشَّمْسُ الْمُتَعَبَةُ تَبْحَثُ عَنْ الْأَمْنِ
 فِيمَا وَرَاءَ الْأُفُقِ .
 وَمِثْلُ النَّهَارِ الَّذِي يَبْتَغِدُ بِخُطَوَاتِ كَبِيرَةٍ
 نَحْوَ اللَّانِهَايَةِ الْمَجْهُولِ
 حَاجًّا وَحِيدًا فِي الطَّرِيقِ الْمُظْلِمَةِ
 بِلا دَرْبٍ
 تَائِهًا فِي أُغْنِيَةٍ مِنْ أَغَانِي اللَّانِهَايَةِ
 هَكَذَا اجْعَلْنِي مُتَجَاوِزًا فِي عَطَائِي لِدَاتِي
 وَاجْعَلْ هَذَا الْفَرَاغَ يَمْتَلِئُ بِالْأَنْعَامِ .
 وَقُدْنِي مِنْ دَرْبٍ إِلَى دَرْبٍ
 أَيْهَا الْجَلِيلُ اللَّامَنْظُورُ

عازف الناي

يَا عَازِفَ النَّايِ

اعزِفْ نايَكَ

ودعني أسمع اسمي الجديد .

هكذا كتبتُ إِلَيْكَ أَوَّلَ حُرُوفِي

أَتَذْكُرُهُ؟

إني فتاةُ البَنغال . . فتأثُّك

إِنَّ اللَّهَ لَمْ يُنْفِقْ وَقْتاً طويلاً

ليشكِّلَ مِنِّي مَخْلُوقاً بَشَرِيّاً

ولَئِنَّهُ تَرَكَني غَيْرَ كَامِلَةٍ .

بَيْنَ الدَّاخِلِ وَالخَارِجِ

بَيْنَ المَاضِي والحَاضِرِ

بَيْنَ الْفِكْرِ وَالشُّعُورِ
وَبَيْنَ الشَّهْوَةِ وَالْقُدْرَةِ
لَا يُوجَدُ انْسِجَامٌ كَامِلٌ.
لَمْ يَضَعْنِي فِي زَوْرَقِ الْعَهْدِ الْحَدِيثِ
وَلَكِنَّهُ شَدَّنِي إِلَى الضَّفَّةِ الْمُنْخَفِضَةِ
مِنْ تَيَّارِ الزَّمَنِ.
هُنَاكَ، فِي النُّورِ السَّاطِعِ
أَرَى بَيْصَرَ وَاهِنِ الْعَالَمِ الْبَعِيدِ
إِنَّ عَالَمِي مُصَابٌ بِالْفَقْرِ
وَلَا يُمَكِّنُهُ لِأَيِّ سَبَبٍ أَنْ يَكُونَ مُنْعَمًا.
إِنَّهُ يَمُدُّ يَدَيْهِ
وَلَكِنَّهُ لَا يَبْلُغُ شَيْئًا
وَالنَّهَارُ لَا يَنْتَهِي
وَأَتَأَمَّلُ الْمَجْرَى مُتَظِيرَةً
أَنْ أَرَى الزَّوْرَقَ

وَقَدْ سُحِبَ بَعِيداً ، هُنَاكَ فِي ضِفَّةِ الْحُرِّيَّةِ .

وَفِي ذَلِكَ الْوَقْتُ بِالذَّاتِ

تَرَدَّدَ صَدَى نَائِكَ

يَعْرِفُ أَنْغَامَ الْحَيَاةِ الْمَلَأَى

وَفِي النَّبْضِ الْخَامِدِ لِلْعُرُوقِ

يُعُودُ تَيَّارُ الْحَيَاةِ

أَيَّ انْسِجَامٍ هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ؟

مَنْ الَّذِي يَعْرِفُ أَيَّ لَوْعَةٍ

تَنْطَلِقُ فِي قَلْبِ أَيِّ وَاحِدٍ؟

رُبَّمَا كُنْتَ تَعْرِفُ

أُغْنِيَاتِ الرِّيحِ الشَّرْقِيَّةِ

إِنَّهُ غِنَاءُ الشَّبَابِ الْجَدِيدِ

إِنِّي أَصْغِي إِلَيْهِ ، وَأُحْسُهُ

وَالْتَيَّارِ الْجَبَلِيِّ الرَّقْراقِ أَخَذَ يَتَعَاطَمُ

وَيَتَرَدَّدُ فِي رَعْدِ الرِّيحِ الْمَوْسِمِيَّةِ

عند بُزوغِ الفجرِ الباكرِ
أرى الضُّفَّافَ قد سُحِبَتَ بِعِيداً
وبألوعةِ الثَّيَّارِ الجَّارِفِ
قد هَزَّتِ الصَّخْرَ الصَّامِدَ
وفي دَمِي، كَانَ عَزْفُكَ وَأَنْغَامُكَ
يَحْمِلَانِ إِلَيَّ نِدَاءَ العاصِفَةِ
الامتلاءِ، النَّارِ، الحَرِيقِ
نِدَاءَ المُحِيطِ الَّذِي يَهْزَأُ بِالمَوْتِ
النَّدَاءِ الَّذِي يَهْزُؤُ سِلَاسِلَ الرِّيحِ الوَحْشِيَّةِ
فِي الحُلُجَّانِ الضَّيِّقَةِ لِلْأَكَامِلِ
وَالسُّلْبِ المُنْدَفِعِ لِلثَّيَّارِ الرَّخْبِ
يَصِلُ، فَيُغَطِّي كُلَّ شَيْءٍ وَيَجْرِفُ كُلَّ شَيْءٍ -
إِنْ حِمْلَ زَوَاجِعِ الرَّبِيعِ مَشْحُونٌ بِالمَطَرِ
وَمِثْلَ غَضَبِ الغَابَةِ
يُدَوِّمُ حَوْلَ الجَسَدِ.

يَا إِلَهِي ، أَنْتَ لَمْ تُعْطِنِي أَجْنِحَةً ،
 أَغْنِيَاثُكَ فَقَطْ هِيَ الَّتِي لَمَسْتُ أَحْلَامِي
 مَعَ جُنُونِ زَوَائِعِ الْأَمْطَارِ .
 وَفِي الْبَيْتِ كُنْتُ أَعْمَلُ بِهْدُوءِ
 وَالْجَمِيعُ يَقُولُونَ عَنْ عَمَلِي إِنَّهُ (طَيِّبٌ)
 وَلَكِنَّهُمْ يَجِدُونَنِي خَالِيَةً مِنَ الرَّغْبَةِ فِيمَا أَعْمَلُ
 وَلَا شَهْوَةَ عَارِمَةً
 وَبِضَرْبَةٍ خَفِيفَةٍ مِنَ الرِّيحِ
 وَجَدْتُ نَفْسِي فَوْقَ الْأَرْضِ
 لَسْتُ جَرِيئَةً بِمَا فِيهِ الْكِفَايَةُ
 حَتَّى أَدْفَعَ الْحَرَسَ الَّذِي يُدَافِعُ عَنِّي
 وَلَا أَعْرِفُ كَيْفَ أُحِبُّ بِجِدَّةٍ
 وَلَكِنِّي أَعْرِفُ فَقَطْ كَيْفَ أَبْكِي
 يَا عَارِزَ النَّايِ
 حِينَ أَصْنَعُ لَأَنْعَامِكَ

يَبْلُغُنِي نِدَاءُ عَالَمِ الْخَالِدِينَ
هُنَاكَ أَرْفَعُ جَبِينِي فِي الْمَجْدِ
هُنَاكَ ، حَيَاتِي تُصْبِحُ شَبِيهَةً
بِشَّمْسٍ شَابَّةٍ
لَمْ تَحْجُبْهَا
هُنَاكَ حَمَاسِي الَّذِي لَا يُقِيمُ اعْتِبَاراً
لِلْمَحْظُورَاتِ
يَفْتَحُ أَجْنَحَهُ نِيرَانِيَّةً
وَمِثْلَ عُصْفُورِ الرَّبِّ الْجَائِعِ
يَطِيرُ نَحْوَ الْفَرَاغِ الْمَجْهُولِ
وَيَسْتَقِظُ فِي ذَاتِي الْمُتَمَرِّدِ
وَبِنَظَرَةٍ مُحْتَقِرَةٍ
يُذِينُ جُبْنَ الْجُمُوعِ حَوْلِي
يَا عَازِفُ النَّايِ
رُبَّمَا كُنْتَ تَرْغَبُ أَنْ تَرَانِي

فَلَا أَدْرِي الزَّمَانَ الْمُنَاسِبَ
أَوِ الْمَكَانَ الْمُنَاسِبَ لِلِقَائِنَا
وَلَا كَيْفَ أَتَعَرَّفُ عَلَيْكَ
فِي اللَّيْلَةِ الْوَحِيدَةِ الْمُمَطَّرَةِ
جَاءَتْ كَالظِّلِّ
لِلْقَاءِ بِكَ .
حِينَ سَمِعْتَ نِدَاءَكَ
تِلْكَ الصَّبِيَّةُ الْعَذْبَةُ الرَّقِيقَةُ
خَرَجَتْ مِنَ الزَّاوِيَةِ الْمُظْلِمَةِ
امْرَأَةً سَافِرَةً
إِنِّهَا كَالْبَيْتِ الشَّعْرِيِّ الْأَوَّلِ
الَّذِي انْسَكَبَ فَجَاءَ فِي قَلْبِ (يَا لِمَيْكَلِي)
وَسَحَرَتْكَ
وَلَكِنَّهَا لَنْ تَنْزِلَ مِنْ عَرْشِ الْغِنَاءِ
وَجَالِسًا فِي ظِلَالِ الْأَنْغَامِ

تَكْتُبُ كَلِمَاتِكَ
لَنْ تَعْرِفَ أَيْنَ تَعِيشُ
يَا عَارِزَ النَّايِ.
دَعَهَا تَظَلُّ بَعِيدَةً
عَنْ أَنْعَامِ نَائِكَ.

* * *

جاراتي

آه يا جَارَاتِي
لَقَدْ رَأَيْتْ صُورَتَكَ فِي قَلْبِي
عِنْدَ نِهَايَةِ اللَّيْلِ
وَاللَّهْبُ الهَادِيءُ لِلْمُصْبَاحِ
كَانَ يُضِيءُ حَاجِبِيكَ وَشَفَتَيْكَ
وَشَعْرَكَ الْأَبْيَضَ .
وَالنُّورُ الهَادِيءُ لِنَجْمَةِ الصَّبَاحِ
كَانَ يَقَعُ عَلَى عَيْنَيْكَ الهَادِئَتَيْنِ
كَمَا تَقَعُ الْبَرَكَةُ الْإِلَهِيَّةُ .
وَفِي الْغُرُوبِ
كَانَ عِطْرُ الدُّفْلَةِ الْوَاهِنِ .
قَدْ جَعَلَ الْهَوَاءُ حَزِينًا مَكْرُوبًا

خَافِتًا كَمَا تَخَفْتُ آخِرَ الْحَانَ (فينا)

عِنْدَ نِهَآيَةِ الْاِحْتِفَالِ .

وَالْهَوَاءُ الرُّطْبُ الَّذِي بَلَّلَهُ النَّدى يَتَحَرَّكُ

بِهْدُوءٍ .

وَأَغْصَانُ أَشْجَارِ الْأَسْتِ سَاكِنَةٌ .

وَذَلِكَ الْمَجْرَى النَّجِيفُ، الصَّافِي

لِلنَّهْرِ

يَتَدَقَّقُ فِي صَمْتٍ نَحْوِ الْبَيْتِ الْمَهْجُورِ

مِثْلَ الْخُطُوطِ الْمُتَعَبَةِ لِلْعَشِيقَةِ

الْمَنْسِيَةِ .

آه يَا جَارَاتِي ذَاتِ الشَّعْرِ النَّاصِعِ

لَقَدْ رَأَيْتُكَ فِي السَّمَاءِ الْخَرِيفِيَّةِ لِلْحَيَاةِ

وَفِي الْعُيُومِ الصَّافِيَةِ النَّقِيَّةِ

الْخَالِيَةِ مِنَ الْمَطَرِ .

وَهُنَا، تَحْتَ، تَمْتَدُّ الْحُقُولُ مَلِيئَةً

بِالْقَمَحِ :
وَالنَّهْرُ فَأَيْضَ حَتَّى الْحَوَافِي .
فِي هُدُوءِ الْكَمَالِ
فَإِنَّ الْأَرْضَ تَعْدُو عَمِيقَةً فِي جَمَالِهَا
يَا جَارَاتِي .
لَقَدْ رَأَيْتُكَ فِي آخِرِ صِفَافِ الْوُجُودِ
حِينَ كَانَ ضَجِيجُ الزَّمَنِ غَارِقًا
فِي الْأَعْمَاقِ السَّحِيقَةِ .
وَفِي اللَّيْلِ
وَبَعْدَ حَمَامِكَ كَحَاجَّةٍ إِلَى الْبَحْرِ الْهَادِيءِ
تَنْحَنِينَ بِضَفِيرَتِكَ الطَّلِيْقَةِ
أَمَامَ الْهَيْكَلِ .
وَتَعْبُدِينَ الْخَاتِمَةَ الْكَامِلَةَ
لِلْقَلْبِ الْخَالِي مِنْ الرَّاحَةِ .
حَيْثُ تُقِيمُ السَّلَامُ الْخَالِدَةَ

وَتَنْسِكِبُ عَلَى رَأْسِكَ النَّيْلِ

نِعْمَةٌ سَامِيَةٌ

تُشَبِّهُ آخِرَ أَشِعَّةِ الشَّمْسِ

* * *

امراة

الرَّحِيقُ وَالْفَرْحُ تَشْكَلَا فِي الْمَرْأَةِ
وَأَثَارَا أَمْوَاجًا مُضْطَرِبَةً
مِنْ أَجْلِ الظَّفَرِ بِالذِّكْرِ الْمُعْتَزِّ بِعُزْلَتِهِ
وَحَلَفَ سِرًّا (تَابَاسِيَا) الْإِلَهِي
بَحَثَ النَّحَاتُ فِي فِكْرِهِ عَنِ الشُّكْلِ الْأُولِيِّ
وَحَاوَلَ أَنْ يَسْجُنَ فِي إِبْدَاعِهِ
هَذَا الْجَمَالَ الْفَانِي
وَلَكِنَّهُ هَزِمَ بِسَبَبِ الْعِفَّةِ وَالْخَوْفِ
وَتَعَالِيمِ الْكُتُبِ الْمُقَدَّسَةِ
وَجَعَلَ الْعُرْيَ شَيْئًا صَافِيًا نَقِيًّا
بَعِيدًا عَنِ دَائِرَةِ اللَّذَّةِ الْحِسِّيَّةِ
الْأَلَمِ اللَّانِهَاثِي فِي قَلْبِ الْإِنْسَانِ

وَفِي تَوْقِهِ إِلَى الرَّحِيقِ الْقُدْسِيِّ فِي النَّيِّدِ الْأَرْضِيِّ
بَدَدَ آثَارَهُ

فِي الْغِنَاءِ ، فِي الرَّسْمِ ، فِي الصَّخْرِ
وَعَهْدًا بَعْدَ عَهْدٍ
وَبَقْعَةً بَعْدَ بَقْعَةٍ
سَالِمَةً مِنَ الذُّبُولِ
سَلِيمَةً مِنَ الضَّعْفِ
لَوْحِظَ جَمَالُهَا

فِي حُلْمِ الْفَنَّانِ .
وَفَكَّرَ الْإِنْسَانَ ، الْمَطْرُودَ مِنَ السَّمَاءِ
جَذَبَ إِلَى نَفْسِهِ رَوْعَةَ الْكَوْنِ
وَحَقَّقَ الْوَحْدَةَ بَيْنَ الْمُتَشَكِّلِ وَاللَّامُتَشَكِّلِ
تَحْيِيَّتُكَ كَالْجَوْهَرَةِ الَّتِي تُزَيَّنُهُ
حِينَ يَضُمُّكَ

إِنَّ النُّورَ الصَّافِي الطَّاهِرَ الَّذِي تَرَاهُ بِهِ
عَيْنَاكَ الْمُسْتَضِيئَتَانِ بِالْعِبَادَةِ لَهُ
قَدْ رَشَّ وَجُودَهُ كُلَّهُ
وَوَسَمَ جَبِينَهُ بِسِمَةِ الْعَظَمَةِ .
أَنْ تَكُونِي إِلَهَةً ، أَوْ مُجَرَّدَ امْرَأَةٍ
فَإِنَّ الْأَشْيَعَةَ الَّتِي انْطَلَقَتْ مِنْ قَلْبِكَ
قَدْ طَوَّقَتْهُ بِنُورِ قُدْسِي
لَقَدْ وَجَدَ وَجْهَهُ الْحَقِيقِيَّ فِيكَ
صَوْتُ النَّصْرِ .
وَحُبُّكَ قَدْ وَلَدَ فِيهِ
النَّعْمَةَ الْمُشِيعَةَ فِي وَجُودِهِ
وَالرَّجِيقَ الَّذِي يَحْتَسِي
يَنْسَكِبُ مِنْ قَلْبِكَ الْمُفْعَمِ
تَمَامًا ، مِثْلَ الْهَالَةِ الرَّائِعَةِ الَّتِي تُحِيطُ بِالشَّمْسِ
عِنْدَ أَوَّلِ بُزُوعِهَا

وَهَكَذَا فَإِنْ وَحِيَ اللَّهُ يُتَوَجَّ رَأْسُكَ
وَحِينَ يَلْمَسُ الْأَرْضَ يَنْحَنِّي فِي إِجْلَالٍ

* * *

العام المنصرم

الرَّحْلَةُ تَنْتَهِي
وَضِلَالُ الْمَوْتِ تَتَكَاثِفُ
عِنْدَ نِهَايَةِ الطَّرِيقِ الْغَرْبِيِّ .
وَالشَّمْسُ الْغَارِبَةُ
تَجُودُ عِنْدَ رَحِيلِهَا
يَكُونُزَهَا ، وَتَبْدُهَا بِكِلْتَا يَدَيْهَا .
وَفِي إِفَاضَةِ الْأُلْوَانِ
أَرَى
أُفُقَ الْمَوْتِ الْمُضِيِّ
وَعَظَمَةَ الْحَيَاةِ .
وَتَتَوَقَّفُ أَنْفَاسِي
بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي تَنْطَلِقُ مِنِّي

(مَا أَكْثَرَ مَا أَحْبَبْتُ)
إِنَّ السِّرَّ الْأَبَدِيَّ الَّذِي يُفَعِّمُ ضِيْفَاهُ
قَدْ حَقَّقَ وَحْدَةً حَمِيمَةً، بَيْنَ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ .
وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ قَدْ مَلَأَا بِالرَّحِيقِ
كَأْسَ الْعَمِيِّ .
لَقَدْ رَحَلْتُ وَحِيداً
فِي الدَّرْبِ الْقَاسِي حَاجّاً نَحْوَ الْأَلَمِ .
تَلَفَحْنِي شَمْسُ إِبْرِيلِ اللَّاهِبَةِ .
مَا أَكْثَرَ الْأَيَّامَ
الَّتِي بَقِيتَ فِيهَا بِلا رِفَاقِ !
مَا أَكْثَرَ اللَّيَالِي
بِلا مِصْبَاحِ !
وَمَعَ ذَلِكَ فَفِي أَعْمَاقِ قَلْبِي
شَعَرْتُ بِلَمَسَتِكَ .
وَإِكْلِيلِ شَوْكِ الْإِفْكِ وَالْبُهْتَانِ

مِثْلَ مَرَّةٍ جَرَحَنِي .
 وَلَكِنِّي تَقَبَّلْتُهُ كَمَا لَوْ كَانَ إِكْلِيلَ الزَّفَافِ
 مُتَأَمِّلاً بِعَيْنَيْنِ مُصَوَّبَتَيْنِ
 الْوَجْهَ الْمُضِيِّ لِلْأَرْضِ .
 فَغَمَّرْتَنِي لِأَكْشِيْمِي الَّتِي تُقِيمُ
 بَيْنَ آلاَفِ أَزْهَارِ اللَّوْتَسِ
 بِسَخَاءٍ لَا حَدَّ لَهُ
 أَصَابَتْنِي رُوحًا وَجَسَدًا .
 فَاسْرَتْ فِي نَائِي
 زَفْرَةَ الدُّمُوعِ وَابْتِسَامَاتِ الْكَوْنِ .
 أُولَئِكَ الَّذِينَ تَجَسَّدُوا (كَبَشَرِ)
 وَجَهَرُوا (بِالْكَلِمَةِ) الْمُقَدَّسَةِ الْمُضْمَرَّةِ
 الَّتِي يَتَعَذَّرُ التَّعْبِيرُ عَنْهَا
 هُمْ أَشْبَاهِي وَأَمْثَالِي .
 مَا أَكْثَرَ الْمَرَّاتِ الَّتِي وَجَدْتَنِي فِيهَا مَهْزُومًا

فِي الْخَوْفِ وَفِي الْخِزْيِ .
وَمَعَ ذَلِكَ فَفِي صَوْتِي كَانَ يُدَوِّي
النَّصْرُ اللَّامَحْدُودُ .
وَرَعْمَ مَا قَدْ يُصِيبُ عِبَادَتِي مِنْ نَقْصِ
فَمِنْ حِينٍ إِلَى آخَرٍ كَانَ قَلْبِي
الْبَاكِي
يَفْتَحُ أَبْوَابَ السُّجُنِ عَلَى مَصَارِيعِهَا .
فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ تَلَقَّيْتُ
حَقَّ الْمِيلَادِ كَأُنْسَانٍ .
وَذَلِكَ هُوَ حَظِّي الطَّيِّبُ .
وَالرَّحِيقُ الْمُقَدَّسُ بِالنُّسْبَةِ لِي
كَأَن يَجْرِي عِبرَ الْعُصُورِ
فِي الْفِكْرِ، فِي الْمَعْرِفَةِ، فِي الْعَمَلِ .
وَالْكَمَالِ
الَّذِي تَتَأَلَّقُ صُورَتُهُ مُشْرِقَةً مُضِيئَةً فِي قَلْبِي

أَعْرِفَ أَنَّهُ سَيَتَوَزَّعَ عَلَى الْجَمِيعِ .
جَالِسًا جَلْسَةً تَأْمِلِيَّةً
فَوْقَ الْبَسَاطِ التَّرَابِيِّ
رَأَيْتُ (الْوُجُودَ الْأَسْمَى)
مَرُشُوشًا بِالنُّورِ الَّذِي يَتَأَلَّقُ فَوْقَ كُلِّ الْأَنْوَارِ .
إِنَّهُ أَصْغَرَ مِنْ أَصْغَرِ حَبَّةٍ .
وَأَكْبَرُ مِنْ أَيِّ عَظْمَةٍ .
إِنَّهُ هُوَ
لَقَدْ وَجَدْتُهُ فِيمَا وَرَاءَ إِمْكَانِيَّاتِ الْحِسِّ
وَنَفَذَ فِي حِجَابِ جَسَدِي .
وَرَأَيْتُ فِي وَمَضَاتٍ مُفَاجِئَةٍ
اللَّهَبَ الَّذِي لَا يَحْمَدُ .
وَفِي كُلِّ مَكَانٍ
قَدَّمَ فِيهِ رَجُلُ اللَّهِ
قُرْبَانًا

كَانَ لِي نَصِيبٌ مِّنْ بَرَكَتِهِ .
وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ يُحَرَّرُ فِيهَا الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ
مِنْ أَدْغَالِ الْوَهْمِ
أَتَعَرَّفَ فِيهِ عَلَى نَفْسِي .
وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ يُسَيِّطِرُ فِيهَا الْبَطْلُ
بِلَا خَوْفٍ ، عَلَى الْمَوْتِ
يَكُونُ لِي فِي تَارِيخِهِ مَكَانٌ .
وَأَمَامَهُ هُوَ
الَّذِي يَسْمُو عَلَى كُلِّ سُمُوٍ
أُنْحِنِي
رَغْمَ أَنَّنِي أُنْسَى كَثِيرًا أَن أَتَغْنَى بِاسْمِهِ .
إِنَّ بَرَكَاتِ السَّمَاوَاتِ الصَّامِتَةِ
وَنَشْوَةِ الْفَجْرِ الْوَلِيدِ
قَدْ أَصَابَتَا قَلْبِي .
وَفِي هَذَا الْعَالَمِ الْمَلِيءِ بِالْفِتْنَةِ

وَفِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الْعَامِرَةِ بِالْعَظَمَةِ
فَإِنَّ الْمَوْتَ يَحْمِلُ إِلَيَّ تَمَامِي .
الْيَوْمَ ، آخِرَ أَيَّامِ الْعَامِ
وَحِينَ تَحِينُ سَاعَةُ الْوَدَاعِ
أَيُّهَا الْمَوْتُ ، أَرْحِ حِجَابَكَ .
مَا أَكْثَرَ الْأَشْيَاءَ الَّتِي رَحَلَتْ
إِنِّي أَعْرِفُ ، إِنِّي أَعْرِفُ .
كَثِيرٌ مِنَ الْعَطْفِ ، كَثِيرٌ مِنَ الْحُبِّ .
وَقَدْ انْطَفَأَ الْمَصْبَاحُ
دُونَ أَنْ يُخْلَفَ ذِكْرِي .
إِنْ يَدُكَ أَيُّهَا الْمَوْتُ لِمُنْعَمَةٍ
بِاللَّحْظَةِ الَّتِي هِيَ أَبَدِيَّةٌ .
وَيَدُكَ أَنْتِ أَيُّهَا النَّهَايَةُ
لَعَامِرَةٍ بِالْكَثْرِ الَّذِي هُوَ خَالِدٌ .

حياة

لا أريدُ أن أموتَ في هذا العالمِ الجميلِ
ولكنني أريدُ أن أحيَا في قلبِ الإنسانِ
وأن أجدَ في الغابةِ المزهرةِ
الشمسَ محراباً
إن لُعبةَ الحياةِ تتصاعدُ كالأمواجِ
بدُموعِها وابتسامِتها
ولقاؤها وفراقِها
وهي توحِّدُ معاً
آلامَ وأفراحَ الإنسانِ
أريدُ أن أبني فوقَ هذه الأرضِ
بَيْتي الخالدِ
وأن أحمِلَ أغنياتَ كالزهورِ الموشِكةِ

عَلَى التَّمَّشِ
لِكِي أَجْمَعَهَا لَكَ
وَأَحْمِلَ الْفَجَرَ وَالْغُرُوبَ
فَخُذِيهَا ضَاحِكَةً
وَحِينَ تَذُبُلُ
انْثُرِيهَا بَعِيداً

* * *

أنا (١)

فِي ضَمِيرِي
تَأَلَّقْتُ زُمُرْدَةً خَضِرَاءُ سَاطِعَةً
وَيَاقُوتَةً حَمْرَاءُ
وَفَتَحْتُ عَيْنِي نَحْوَ السَّمَاءِ
فَرَأَيْتُ نُورًا يَتَصَاعَدُ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ
فَالْتَفَتْتُ إِلَى اللَّوْنِ الْوَرْدِيِّ
وَقُلْتُ (جَمِيلُ)
وَلَقَدْ كَانَ حَقًّا جَمِيلًا
سَتَقُولُ
(إِنَّهَا الْفَلَسَفَةُ وَلَيْسَتْ صَوْتُ الشَّاعِرِ)
فَأَجِيبُ
(إِنَّهَا الْحَقِيقَةُ فَهِيَ إِذْنُ الشُّعْرِ)

هَذَا هُوَ فَخْرِي تَجَاهُ كُلِّ الْبَشَرِ .

عَلَى نَسِيجِ فَخْرِ الْإِنْسَانِ

يُظْهِرُ الْفَنُّ الْعَظِيمُ الَّذِي يُبْدِعُهُ الْفَنَّانُ

وَيُعْمِغِمُ الْحَكِيمُ وَهُوَ يُغْنِي بِمَسْبَحَتِهِ

لا . . . لا . . . لا . . .

لَا زُمُودَ، وَلَا يَأْقُوتَ، وَلَا نُورَ، وَلَا وَرْدَةَ

وَلَا أَنْتَ . . وَلَا أَنَا

مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، ذَلِكَ الَّذِي هُوَ لَا نِهَائِيَّ

قَدْ تَأَمَّلَ مِنْ دَاخِلِ حُدُودِ الْإِنْسَانِ

إِنَّهُ هُوَ الَّذِي يُسَمَّى (الْأَنَا)

وَفِي كَهْفِ هَذَا (الْأَنَا) اتَّحَدَّثَ الظُّلْمَةُ

وَالنُّورُ

وَبَدَأَ شَكْلَ . فَاسْتَيْقَظَ (رَازَا)

وَعِنْدَيْدَ، لَا أَذْرِي مَتَى، وَبِدَهْشَةٍ (مَايَا)

ازْدَهَرَتْ (الَلَا) الَّتِي فِي الْخُطُوطِ

والألوانِ
وفي الفَرَحِ والأَلَمِ
في (نعم)
لَا تُسَمِّ ذَلِكْ فَلَسَفَةً
في مَصْنَعِ (الأنا) الكَوْنِي .
وبالرَّيْشَةِ في اليَدِ ، والأَلْوَانِ فَوْقَ المِرْسَمِ
وَجَدْتُ الفَرَحَ
فَقَالَ الْمُتَّقِفُ
إِنَّ القَمَرَ القَدِيمَ بِابْتِسَامَةِ خَبِيْثَةِ مَاكِرَةٍ
وَكَرَسُولِ لِلْمَوْتِ ، سَيَتَّجِهَ لِلَاِحتِكَالِ
بِالأَرْضِ
وَفِي يَوْمٍ مِنْ الأَيَّامِ سَتَشْعُرُ البِحَارُ
وَالجِبَالُ ، بِجَاذِبِيَّتِهِ العِمْلَاقَةِ الأَخِيرَةِ
وَعَلَى الأَرْضِ ، وَفِي الكِتَابِ الكَبِيرِ لِلزَّمَنِ
سَتُمْلَأُ الصَّفْحَةُ الجَدِيدَةُ بِرَقْمٍ صِفْرِ

كَبِيرٌ
يَبْتَلِعُ الرُّبْعَ وَالْخَسَارَةَ .
وَأَعْمَالُ الْإِنْسَانِ تَفْقِدُ كُلَّ حُجَّةٍ لِلْخُلُودِ
وَحَبِيرُ نَيْلَةٍ لَا حَدَ لَهَا سَيَمُحُو التَّارِيخَ
وَعَيْنَا الْإِنْسَانِ وَهُوَ يَحْتَضِرُ
سُتُلْفِيَانِ أَلْوَانِ الْكَوْنِ .
وَعَقْلُ الْإِنْسَانِ وَهُوَ يَحْتَضِرُ
سَيُجْفِفُ (الرَّازَا)
وَضِلَالُ الْعُنْفِ سَتَهْزِ السَّمَاوَاتِ
وَلَنْ يَتَأَلَّقَ بَعْدَهَا أَيُّ نُورٍ
وَتَرْغَبُ الْأَنَامِلُ فِي الْعَرْفِ
وَلَكِنْ لَنْ تَتَوَلَّدَ الْأُنْعَامُ
فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي يَتَجَرَّدُ فِيهِ
الْخَالِقُ مِنَ الشَّاعِرِيَّةِ
سَيَجْلِسَ غَارِقًا فِي التَّفْكِيرِ

وَحِيداً فِي السَّمَاءِ
دُونَ زُرْقَةِ الرُّجُودِ اللَّاشْخِصِيِّ
فِي هَذَا الْكَوْنِ اللَّامْحُذُودِ
وَعَالَمٍ بَعْدَ عَالَمٍ
لَنْ يَكُونَ هُنَاكَ مَكَانٌ يُرَدِّدُ صَدَى
هَذِهِ الْكَلِمَاتِ
أَنْتَ جَمِيلٌ
أَنَا أُحِبُّكَ؟
وَعَرِيقَ الصَّائِعِ مِنْ جَدِيدٍ فِي تَأْمُلٍ لَا حَدَّ لَهُ
فَارِكاً حَبَّاتِ مِسْبَحَتِهِ ، وَهُوَ يُغْمِغِمُ
بِهَذَا الدُّعَاءِ
تَكَلَّمْ آوْ ، تَكَلَّمْ
قُلْ . . . أَنْتَ جَمِيلٌ
قُلْ . . . إِنِّي أُحِبُّكَ؟

* * *

أنا (٢)

أَتَسَاءَلَ إِذَا كُنْتُ أَعْرِفُهُ
فِي جَدِيدَتِهِ صَوْتِي
وَفِي حَرَكَتِهِ وَجُودِي
وَمَهَارَتُهُ فِي مَلَامَحِي
وَالْحَانَةِ فِي أَغَانِي
فِي الْفَرَحِ وَالْحُزَنِ
أَفَكَّرُ أَنَّهُ مَغْلُولٌ فِي دَاخِلِي
مَشْدُودٌ بِالْذُمُوعِ وَالضَّحَكَاتِ
بِالْعَمَلِ وَاللَّعَبِ
وَأَفَكَّرُ أَنَّهُ ذَاتِي الْحَقِيقَةِ
الَّتِي سَتَبْلُغُ النَّهْيَةَ بِمَوْتِي
فَلِمَاذَا إِذْنُ أَشْعُرُ بِهِ

فِي تَيَّارٍ مِنَ الْفَرَحِ
عِنْدَ رُؤْيَاةٍ وَمُلَامَسَةٍ مَحْبُوبَتِي؟
إِنِّي أَجِدُ هَذَا (الْأَنَا) أَبْعَدَ مِنْ ذَاتِهِ
فِي ضِيفِ الْبَحْرِ الْوَضَاءِ
إِذْ نَا أَنَا أَعْرِفُ
أَنَّ هَذَا (الْأَنَا) لَيْسَ مَأْسُورًا
دَاخِلَ حُدُودِي
إِنِّي أَجِدُهُ حِينَ أُضِيعُ نَفْسِي
أَبْعَدَ مِنْ حُدُودِ الزَّمَنِ وَالْمَكَانِ
عَبْرَ الْأَحْقَابِ
وَصَلْتُ إِلَيَّ مَعْرِفَةُ (أَنَا) اللَّامِعةُ
فِي حَيَاةِ الْبَاحِثِ
وَفِي صَوْتِ الشَّاعِرِ
وَمِنَ الْغُيُومِ الْقَائِمَةِ تَهْبِطُ الْأَمْطَارُ
إِنِّي أَجْلِسُ وَأَفَكِّرُ

حَامِلًا أَشْكَالًا عَدِيدَةً وَأَسْمَاءَ عَدِيدَةً
أَصِيلٌ مُجْتَازًا كَنْزَ الْعَدِيدِ مِنْ
الْمَوَالِيدِ وَالْمَوْتَى
إِلَى الْأَسْمَى الْمُوَحَّدِ، الْكَامِلِ فِي ذَاتِهِ
مُعَايِفًا الْمَاضِي وَالْحَاضِرَ
السَّاكِنَ فِي الْإِنْسَانِ
وَفِي دَاخِلِهِ أَجَدَ نَفْسِي
« الْأَنَا » الَّتِي تَبْلُغُ كُلَّ مَكَانٍ

* * *

لوحة

لَقَدْ رَسَمْتُكَ بِرِيشَتِي
مَلَمَحًا بَعْدَ آخِرِ
وَمِنْ أَعْمَاقِ اللَّأَصَوْتِي
قَدْ قَدَمْتُكَ إِلَى هَذَا الْعَالَمِ
الَّذِي يَتَقَاسَمُهُ الْمَدْحُ وَالْهَجَاءُ
وَبِسَبَبِ هَذَا التَّطَاوُلِ الَّذِي أَقْدَمْتُ عَلَيْهِ .
سَأَلُونِي :
هَلْ تَحْمِلُ فِي نَفْسِكَ خَبِيَّةً ضِدَّ خَالِقِكَ ؟
وَطَوَالَ الْوَقْتِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ غَيْرَ ظَاهِرٍ
كَانَتْ أَشْكَالُ الْعَالَمِ الْعَدِيدَةِ تَرْقُصُ
فِي صَحْبٍ ، عَلَى إِيقَاعِ الْخَلْقِ وَالتَّدْمِيرِ
وَكُنْتُ تَنْتَظِرُ فِي الْفَرَاغِ ، فَنَانًا

لِيُصْغِي إِلَى نَحْيِكَ الصَّامِتِ
وَلِيُؤْمِسِكَ بِكَ
فِي حُدُودِ النُّورِ وَالظِّلِّ
وَالْأَبْيَضِ وَالْأَسْوَدِ .
كُنْتُ أَعْبُرُ الطَّرِيقَ
حِينَ نَفَذَ نَدَاؤُكَ فِي الْفَضَاءِ الْخَالِيِ
لِللَّأْوُجُودِ
وَبِصْمَتٍ لَمَسْتَ جَبِينِي
كَحُلْمٍ ضَبَّابِيٍّ
وَمِنْ بَحْرِ الْأَشْكَالِ
حَمَلْتُكَ إِلَى عَالَمِ الْخُطُوطِ
أَهَذَا الْعَنَاءُ الَّذِي
فِي قَلْبِ الشُّكْلِ ؟
وَلِعَيْبٍ فِي الْجَمَالِ
يَتَّبِعِي أَنْ يَظْلَ عَمَلِي مُضْطَرِباً

دون أن يُشرفُ ويُكرمَ بالقدرِ الكافي
حَقِيقَةُ الوجودِ؟
فليكنْ

إنَّ خَطَأً في الشَّكلِ
لنَ يَظَلَّ قائِماً إلى الأبدِ
ولَكنَّه سَوفَ يَخبو بِسَبَبِ ثِقَلِهِ
وَسَتَكُونُ مِن جَدِيدٍ حُرّاً
ظَاهِراً مِن بَحرِ اللّاشَكلِ
الذي لَا يُمكنُ التَّعبيرُ عَنْهُ

إِدَانَةٌ

لَا تُدِنْ أَحَدًا
إِن الْمَكَانَ الَّذِي تَعِيشُ فِيهِ
لَيْسَ سِوَى زَاوِيَةٍ صَغِيرَةٍ مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ
مَهْمَا بَلَغَتْ عَيْنَاكَ مِنَ النَّظَرِ الْبَعِيدِ
فَهُمَا لَا تُحِيطَانِ إِلَّا بِالْقَلِيلِ
وَالِى الْقَلِيلِ الَّذِي تُصْغِي إِلَيْهِ
أَضِفْ صَوْتَكَ
وإِنَّكَ لَتَحْفَظُ جَانِبًا وَبِعَنَائَةٍ دَقِيقَةٍ
الْخَيْرَ وَالشَّرَّ وَالْأَسْوَدَ وَالْأَبْيَضَ
وَلَكِنْ عَبَثًا تَرَسِمُ خَطًّا
لِكَيْ تُشِيرَ إِلَى الْحُدُودِ
إِذَا كَانَ هُنَاكَ نَعْمٌ خَفِيٌّ فِي نَفْسِكَ

أَيْقِظْهُ بِمُجَرَّدِ عُبُورِكَ الطَّرِيقِ
فَلَيْسَ فِي الْغِنَاءِ خِصَامٌ
وَلَا دَعْوَةٌ إِلَى الْعَمَلِ
مَنْ كَانَ رَاغِبًا فِيهِ تَجَاوَبَ مَعَهُ
وَمَنْ لَمْ يَرْغَبْ فِيهِ فَإِنَّهُ يُعَدِّي عَنْهُ
مَا يَهُمُّ أَنْ يَكُونَ بَعْضُ النَّاسِ أَخْيَارًا
وَبَعْضُهُمْ أَشْرَارًا؟
إِنَّهُمْ جَمِيعًا مُسَافِرُونَ عَلَى الطَّرِيقِ نَفْسِيهَا
لَا تُدِينُ
أَوَاهِ إِنَّ الزَّمْنَ لَيَطِيرُ
وَالجِدَالَ عَبَثُ
فَانْظُرْ إِلَى الزُّهُورِ الَّتِي تَتَفَتَّحُ عِنْدَ حَوَافِي الْغَابِ
إِنَّهَا تَحْوِيلُ رِسَالَةٍ مِنَ السَّمَاءِ
لِأَنَّ السَّمَاءَ صَدِيقَةُ الْأَرْضِ
وَفِي أَمْطَارٍ يُؤَلِّقُ

يُعْطِي الْعُشْبُ الْأَرْضَ بِالْحُضْرَةِ
وَتَمَلَأُ كَأْسَهَا حَتَّى الْحَافَةِ
نَاسِيَةً إِيَّاكَ
فَلْتَمَلَأْ قَلْبُكَ بِالْبَهْجَةِ السَّاذِجَةِ
أَيْهَا الْمُسَافِرُ
وَانْثُرْ بِحُرِّيَّةٍ، وَعَلَى طُولِ الطَّرِيقِ،
الكَنْزَ الَّذِي تَجْمَعُهُ وَأَنْتِ تُوَاصِلُ الْمَسِيرَ

المجهول

في ميدان السوقِ التي تَعِجُ بالنَّاسِ
 أرى آلافَ الوجوه
 آلافَ القصَصِ ، تأتي وتذهب
 في ضوءِ النهار
 وفي ظلالِ الليل
 وعبر كلَّ الأزمانِ المُقبِلةِ
 وما مِن أَحَدٍ يَسْتَطِيعُ أن يعرف
 قصَّتَهم الكَامِلةَ
 وفي أعماقِ مُناقشاتِهِم العَالِيةِ
 فإنَّ ترثرتهم التي لا تَهْدأُ
 تتناولُ عَمَلِ الخُلُقِ الرَّحِيبِ المُتَنَوِّعِ
 نصفَ مَنسِيٍّ ، ونصفَ مذكُورِ

لَا يُسْمَعُ صَوْتُ، وَلَا يُشَاهَدُ نُورٌ
وَمِنْ مَاضٍ سَحِيقٍ قِصِيٍّ، هَذِهِ الْأَصْوَاتُ
الْخَفِيَّةُ

هَذِهِ الْقِصَصُ الَّتِي لَمْ تُسْمَعْ مِنْ قَبْلِ عِدِيدٍ مِنَ الْبَشَرِ
تَتَدَفَّقُ كَالْمُجْرَى الْأَرْضِيِّ

إِلَى مُحِيطِ الْمَوْتِ

مَا الَّذِي حَدَثَ لَهَا؟

مَا هُوَ الْهَدَفُ؟

أَيُّهَا الْمَحْبُوبُ؟

فِي سَمَاعِي لَكَ، وَرُؤْيَايَ وَلَمْسِي لَكَ

فَإِنَّ الْقَلِيلَ الَّذِي أَعْرِفُهُ لَا يُمَثِّلُ شَيْئاً

إِذَا مَا قُورَنَ بِرَحَابَةِ السِّرِّ

الَّذِي لَمْ يُسْمَعْ وَلَمْ يُرَ

فَالَّذِي انْغَلَقَ عَلَى نَفْسِهِ فِي اطمِئْنَانٍ وَأَمْنٍ

مَنْ يَنْتَظِرُ؟

وَمِفْتَاحُ تِلْكَ الْغُرْفَةِ إِنْ لَمْ يُكُنْ عِنْدَكَ
فَفِي يَدِ مَنْ يُوجَدُ؟
تَعْرِفُ الْمَجْهُولَ الْأَعْظَمَ
وَالْمَجْهُولَ الْخَفِيِّ فِي قُلُوبِنَا
وَأَيُّ حُبٍّ يَتَجَاوَزُهُ حُبُّكَ
وَالَّذِي يَرْفَعُ كُلَّ غَامِضٍ مُبْهِمٍ
حِجَابَهُ
أَمَامَ نَظَرَتِهِ الْخَيْرَةِ

انسجام

لَنْ أُلَوِّمَكَ
كُلُّ الْجِرَاحِ ، وَكُلُّ الْأَخْطَاءِ الَّتِي تَجْرُمُهَا
عَلَيْنَا حَيَاتُنَا
وَتَجْعَلُ مِنْكَ مُتَأَلِّمًا
تَأْتِي مِنَ الْقَدْرِ الْقَاسِي
إِنِّي أَعْرِفُ أَنَّكَ غَيْرُ بَعِيدٍ
فِي السَّمَاءِ الْبَعِيدَةِ
وَلَكِنَّكَ تَسْكُنُ فِيَّ
وَتَحْمِلُ ثِقَلِي لَيْلًا وَنَهَارًا
مُجْتَازًا حَاجِزَنَا الَّذِي لَا يُمَكِّنُ اجْتِيَازَهُ
دَعُ سَبِيلَ الْأَخْذِ وَالْعَطَاءِ يَتَدَفَّقُ
وَأَنْ أَتَمَكَّنَ

مِنْ أَنْ أَخَفَّفَ بِتَعْيِي هَذَا الْحِمْلَ
وَأَنْ أَحِلَّ الْعُقْدَ الْمُتَشَابِكَةَ لِلْعُبُودِيَّةِ .
أَنْ تَنْسَانِي وَتَقْطَعَ هَذَا الْعَالَمَ الرَّحِيبَ
بِلَا خِصَامٍ بِلَا إِجْبَارٍ
مَا يِعَا كُلُّ قَلْقٍ
فَسَوْفَ نُؤَلِّفُ مَعًا لَحْنًا
يَرْتَفِعُ حَتَّى السَّمَاءِ

القادم الجديد

جِئْتُ مِنَ الْأَقَاصِي الْبَعِيدَةِ
مِنْ أَعْمَاقِ سُبُلِ الزَّمَنِ
وَحِينَ بَلَغْتُ ضِيفَافَ عَصْرِكُمْ
لَمْ يَكُنْ لِي رِيفَاقُ
لَأَنَّهُمْ رَسَوْا فِي مَرَايِي أُخْرَى .
الْأَفْرَاحُ الْقَلِيلَةُ الَّتِي عَرَفْتُهَا ،
وَعَطَايَا قَلْبِي
وَزَعْتُهَا كُلَّهَا
وَأَنَا أَهْبِطُ عَلَى طُولِ السَّيْلِ
فِي عَصْرِي
وَحِينَ وَضَعْتُ قَدَمِي فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ
أَخَذْتُ مَطَالِبِي تَزْدَادُ

خُطوةً خُطوةً
عَبْرَ الْعَمَلِ وَالتَّفَكِيرِ،
اللُّغَةِ وَالْحَرَكَةِ،
الْأَخْذِ وَالْعَطَاءِ لِلْحَيَاةِ الْيَوْمِيَّةِ
فِي الْإِبْتِسَامِ وَاللَّعِبِ .
أَيُّ أَنْ أُسْتَمِرَّ بِطَرِيقَةٍ مَا فِي الْحُضُورِ الْعَادِيِّ،
وَأَنْ أَمْلَأَ بِطَرِيقَةٍ مَا مَشْهَدَ الْحَيَاةِ،
كَانَ هَذَا يَكْفِينِي .
وَالْيَوْمَ فِي عَصْرِكُمْ هَذَا أَجِدُ نَفْسِي غَرِيباً
وَلُغَتُنَا تَجِدُ لَهَا مَعْنًى جَدِيداً
عَلَى شِفَاهِكُمْ .
وَالْفُصُولُ تَغَيَّرَتْ
حَتَّى الرِّيحُ اضْطَرَّتْ وَارْتَبَكَتْ .
تَطْفَحُ بَعْضُ الْخِلَافَاتِ الْبَسِيطَةِ
وَتَصْطَلِّمُ بِالضَّحْكِ .

الْمَشَاعِرُ، الْأَمَالُ، الرُّغْبَاتُ
 الَّتِي تُعْطِي طَعْمًا لِلْحَيَاةِ
 كُلُّهَا تَغَيَّرَتْ .
 إِنْ الصَّدَاقَةَ الَّتِي وَهَبْتُهَا فِي عَصْرِي
 رَغَمَ ضَّآلِهِ قِيَمَتَهَا
 مَا تَرَالُ تُرْبِطُ الْإِنْسَانَ بِالْإِنْسَانِ
 وَتُتْرَكُ طَابِعَهَا عَلَى الْعَصْرِ .
 صَدَاقَتِي هَذِهِ لَا يُمَكِّنُ أَنْ تُحْسَبَ
 بِمَقَاسِ عَصْرِكُمْ
 إِنْ الزُّهُورُ الَّتِي تُزَيِّنُ مَوَائِدَ هَذِهِ الْأَيَّامِ
 لَا تَنْمُو فِي حَدِيقَتِي ،
 وَلَيْسَ فِي وَسْعِي أَنْ أَدْفَعَ أَجَرَ الزَّائِرَةِ
 الَّتِي أَشْغَلُهَا مِنْ قَصْرِكُمْ الْمُنِيفِ .
 إِذَنْ عَلَيَّ أَنْ أُعْطِيَ الْكَثِيرَ وَبِأَقْصَى جُرْأَةٍ
 وَلَكِنْ هَذِهِ الْهَبَةُ لَا تُقَدَّمُ لِإِرْضَاءِ مَطَالِبِ

الحَاضِر

فَإِذَا لَمْ تَكُنْ لِتُؤَافِقَ ذَوْقَكُمْ

فَإِنْ قِيَمَتِهَا يُمَكِّنُ أَنْ تُوجَّهَ إِلَى الْمُسْتَقْبَلِ

وَمَعَ ذَلِكَ، فَإِنِّي وَبِكُلِّ مَا أَمْلِكُ .

لَا يَنْبَغِي فَقَطْ أَنْ أَسَدَّدَ دُيُونِي نَحْوَ الْحَاضِرِ

وَلَكِنْ أَرْجُو أَنْ يَكُونَ هَذَا الْحَاضِرُ مَدِينًا لِي

إِنْ مَا هُوَ أَبْعَدُ مِنَ الرَّبِّحِ وَالْخَسَارَةِ

وَمَا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الْفَرَحِ الْخَالِصِ أَوِ الْأَلَمِ الْمَوْجِعِ

هُوَ قُدْرَتِي عَلَى أَنْ أَهَبَ كُلَّ شَيْءٍ

دُونَ أَنْ أَزِنَ بِكَفَّتِي مِيزَانَ

الْمَدْحِ أَوِ الذَّمِّ .

الجرّة

يَا إِلَهِي ، إِنَّكَ خَلَقْتَ بِالْعِبَادَةِ
يَا سَيِّدَ حَيَاتِي
أَنْتَ تَعْرِفُ أَنَّ طَائِفَتِي وَضِيعَةٌ
وَرَعْمَ أَنَّكَ طَرَقْتَ جَمِيعَ الْأَبْوَابِ الْآخَرَى
فَلِمَاذَا جِئْتَ إِلَيَّ بِالذَّاتِ ؟
كُنْتُ أَحْمِلُ جَرَّتِي ، تَحْتَ شَمْسِ الزَّوَالِ
الْأَفْحَةِ
وَكُنْتُ أُسْرِعُ الْخُطَى نَحْوَ بَيْتِي
فِي ذَلِكَ الدَّرَبِ الْمُتَلَوِي
وَطَلَبْتُ مِنِّي مَاءً :
إِنِّي امْرَأَةٌ مِنْ طَائِفَةٍ وَضِيعَةٌ
كَيْفَ أَجْرُؤُ عَلَى تَلْوِينِكَ ؟

وَسَكَبْتُ الْجَرَّةَ
 وَلَمَسْتُ قَدَمَيْكَ بِحَبْنِي
 وَقُلْتُ: لَا تَجْعَلْنِي مُذْنِبَةً
 وَحِينَئِذٍ نَظَرْتَ إِلَيَّ بِاسِمَاءَ قَائِلًا:
 آه، أَنْتِ يَا مَنْ صُنِعَتْ مِنَ الْأَرْضِ
 تَمَامًا، مِثْلَ مَا الْكُرَّةُ الْأَرْضِيَّةُ مُقَدَّسَةٌ
 وَمَغْمُورَةٌ بِالْأَخْضَرِ النَّضِيرِ
 هَكَذَا أَنْتِ يَتَحَقَّقُ فِيكَ عَرْشُ (لاكشمي).
 لَيْسَ لِلْجَمَالِ طَائِفَةٌ
 إِنَّهُ حُرٌّ
 إِنْ الْفَجْرَ الْوَرْدِي يَكْسُوهُ بِجَوَاهِرِهِ
 وَلَكَ يَنْسِجُ اللَّيْلُ أَكَالِيلَ النُّجُومِ
 اصْبُغِي إِلَى كَلِمَاتِي
 إِنْ زَهْرَةَ اللُّوْتَسِ الْمُتَعَدِّدَةِ الْبَتَلَاتِ
 وَالتِّي تَتَفَتَّحُ

لَيْسَتْ لَهَا طَائِفَةٌ
هَلْ هِيَ مُدْنَسَةٌ تِلْكَ الَّتِي يَتَأَلَّقُ
فَوْقَهَا نَعِيمَ السَّمَاوَاتِ؟
حَيْثُ يُفْرِحُ اللَّهُ بِخَلْقِهِ
تَنْسَكِبُ هُنَاكَ عَلَى الدَّوَامِ
مُبَارَكَةُ الْكَوْنِ.
وَحِينَ نَطَقَ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ الْمَلِيئَةِ بِالمَاءِ
وَبِصَوْتِ الْغَيْمَةِ الْمُدَوِّيِ
اخْتَفَى .
وَمُنْذُ ذَلِكَ الْحِينِ
وَفِي كُلِّ يَوْمٍ مَعَ ضَوْءِ الْفَجْرِ
أَرْسُمُ وَأُزَيِّنُ بِعِدَّةِ أَلْوَانِ
هَذَا الْوَعَاءِ الرَّهِيْفَ
لِكَيْ أُخْفِيَ انْتِمَاءَهُ الْأَرْضِيَّ
آه، أَيُّهَا الْمَتَسَامِي فِي عُلَاهُ

أَيْمُكِنْ أَنْ تُرْفَعَ إِلَى أَعْتَابِكَ
 الْهَدِيَّةُ الْمُقَدَّسَةُ لِلْجَمَالِ
 مِنْ تِلْكَ الَّتِي شَمَلَتْهَا بِقَبُولِكَ
 حِينَ نَزَلْتَ عَنْ عَرْشِكَ السَّامِيِّ؟
 إِنْ عَقَلِي لَمَحْجُوبٌ
 بِحِجَابِ عَالَمِنَا هَذَا الْفَانِي
 وَهُوَ يَرَانِي عَبْرَ إِشَارَاتٍ
 فِي النُّورِ وَفِي الظُّلْمَةِ
 مُفْتَرِضاً وَمُجَرَّباً
 وَاضِعاً كُلَّ هَذَا مَعاً.
 آمَالُهُ، وَظَمَائُهُ
 وَمَشَارِيعُهُ الْخَاصَّةُ
 وَأَحْيَاناً، إِذَا تَحَسَّنَتْ أَحْوَالِي
 يَرَانِي مُتَجَدِّدَةً
 الشُّكُوكُ قَامَتْ عَلَى الدَّوَامِ.

وَمَا أَكْثَرَ الْأَيَّامَ الَّتِي مَرَّتْ
عِنْدَ ضِيْفَافِ هَذَا الْبَيْتِ .
إِنْ عَالَمِنَا لِيُحِبُّهُ
وَيَلْهُو مَعَهُ
وَإِذَا انْتَهَى كُلُّ ذَلِكَ
تَبَاعَدَ عَنْهُ
وَإِنِّي لِأَتَسَاءَلُ
إِذَا كَانَ فِي الْعَالَمِ الثَّانِي
وَبِعَيْنِيهِ الْمُقَدَّسَتَيْنِ
الْمُتَحَرَّرَتَيْنِ مِنْ الْخِدَاعِ
سِيرَانِي؟
وَهَلْ سَأَكُونُ هُنَاكَ أَنَا نَفْسِي؟
وَبِقَدْرِ مَا عَرَفَنِي حَتَّى الْآنَ
فَلَسْتُ وَاضِحَةً مَعَهُ كُلِّ الْوُضُوحِ .
كَمَا أَنَّهُ هُوَ أَيْضًا لَيْسَ وَاضِحًا مَعِي كُلِّ الْوُضُوحِ

أَيُّهَا الْإِنْسَانُ
إِنَّ الثُّورَ الْكَامِلَ لَيْسَ شَيْئاً سِوَى الدَّمَارِ
إِنَّ مَهَارَةَ يَدِ الْخَالِقِ
تُلْهُو بِالْإِخْتِفَاءِ
وَتَبْحَثُ فِي الثُّورِ وَالظَّلَالِ
وَفِي تِلْكَ (الْمَايَا) أَقَمْنَا مَعاً
قَاعَةَ الْعَابِنَا
وَحُدِّعْنَا بِوَهْمِ غَيْرِ الْكَامِلِ
إِنَّ الْكَامِلَ فَقَطْ هُوَ الْقَاسِي
الْمَكْشُوفُ، الصَّامِتُ . .

إِنِّي اسْتَيْقِظُ مِنْ جَدِيدِ
وَاللَّيْلِ يَنْهَارُ
وَالْكَوْنُ يُفْتَحُ أَفْوَافَ زُهُورِهِ
تِلْكَ مُعْجِزَةٌ لَا حَدَّ لَهَا

قَارَّاتُ قَدْ غَرِقَتْ
 وَنُجُومٌ قَدْ خَبَتْ
 وَعُهُودٌ بَلَغَتْ نِهَايَتَهَا
 وَأَبْطَالٌ مِنْ الْفَاتِحِينَ لِهَذَا الْعَالَمِ
 قَدْ تَوَارَوْا فِي الْأَسَاطِيرِ
 وَدُولٌ رَفَعَتْ أَعْمِدَةَ نَصْرِهَا
 فِي الْوَحْلِ الْمَنْقُوعِ بِالدَّمِ
 لِكَيْ تُرْضِيَ الْجُوعَ الثَّرَائِي الَّذِي لَا يَعْرِفُ
 الشُّبْعَ
 وَفِي وَسْطِ دِمَاءِ هَذَا الْخَرَابِ
 الْكَبِيرِ
 يَتَلَقَّى جَبِينِي
 مُبَارَكَةٌ أَوَائِلِ أَشِعَّةِ الْفَجْرِ الْوَلِيدِ
 فِي خِتَامِ لَيْلَةٍ أُخْرَى .
 تِلْكَ مُعْجِزَةٌ لَا حَدَّ لَهَا

وَالْيَوْمَ
 وَفِي وَسْطِ مَوَكِبِ النُّجُومِ
 أُحِسُّ أَنَّي شَيْءٌ وَاحِدٌ
 مَعَ الْهَمَلَايَا
 وَشَيْءٌ وَاحِدٌ مَعَ الْبَسْتَارِيشِي
 وَأَجِدُنِي هُنَاكَ
 حَيْثُ تُرْقِصُ الْأَمْوَاجُ
 لِضِحْكَةِ (رودرا) الرهيب
 أَتَيْتُهَا الْأَحْقَابُ
 الَّتِي كُنْتُ شَاهِدًا عَلَى قِيَامِ
 وَسُقُوطِ التَّيْجَانِ وَالصُّوَلَجَانَاتِ
 لَقَدْ تَرَكْتُ شَيْئًا مِنْ طَائِعِهِمْ
 فِي دَوَائِرِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ الْعَرِيقَةِ
 وَأَشْعُرُ أَنَّي قَدْ خُصِصْتُ بِمِيزَةِ
 الْجُلُوسِ تَحْتَ ظِلِّهَا

لِيَوْمٍ آخِرٍ أَيْضًا
وَتِلْكَ مُعْجِزَةُ لَا حَدَّ لَهَا

* * *

الباب

أَيُّهَا الْبَابُ
إِبْقِ دَوْمًا مَفْتُوحًا
وَلَكِنَّ عُيُونَ السَّمَاءِ مُغْمَضَةٌ
وَهِيَ لَا تَعْرِفُ مَا يُوجَدُ بِالْدَّخْلِ
وَتَخْشَى الدُّخُولَ
أَيُّهَا الْبَابُ.
لَيْلًا وَنَهَارًا
يَدَاؤُكَ الْمُهِيبُ لَنْ يَكُونَ صَامِتًا
أَنْتَ تَنْفَتِّحُ لِلشَّمْسِ الَّتِي تَبْزُغُ
وَتَنْفَتِّحُ لِنُجُومِ اللَّيْلِ
أَيُّهَا الْبَابُ
مِنَ الْبَذَرَةِ إِلَى الزَّهْرَةِ

وَمِنْ الزَّهْرَةِ إِلَى الثَّمَرَةِ
وَمِنْ حِقْبَةٍ إِلَى حِقْبَةٍ
وَمِنْ الْمَوْتِ إِلَى الْخُلُودِ
أَنْتَ تَفْتَحُ الطَّرِيقَ
أَيُّهَا الْبَابُ
إِنَّ الْحَيَاةَ تَعْبُرُ بَوَابَ الْمَوْتِ
وَفِي لَيْلَةِ الْيَأْسِ
وَعَلَى طُولِ طَرِيقِ الْإِنْعِتَاقِ
سَيَتَرَدَّدُ طَوْعَ أَمْرِكَ
نِدَاءُ الدَّعْوَةِ
(لَا تَخَافُوا)
أَيُّهَا الصَّدِيقُ، إِنِّي أَعْرِفُكَ
وَلَكِنْ ذَلِكَ لَيْسَ هُوَ الْحَقِيقَةُ الْكَامِلَةُ
إِنِّي أَعْرِفُ الْكَثِيرَ مِنَ الْحَيَاةِ الْيَوْمِيَّةِ
وَأَعْرِفُ مَنْ هُوَ فِي الْعَمَلِ أَوْ الرَّاحَةِ

يَبْدُو فِي مَلَامَحِهِ الصَّافِيَّةِ

دَاخِلَ حُدُودِهِ

إِنِّي أَتَعَامَلُ مَعَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الْيَوْمِيَّةِ

وَأَتَقَاضَى مَا هُوَ مُقَرَّرٌ لِي

وَلَا شَيْءٌ غَيْرَ ذَلِكَ .

وَفِي خِضَمِّ الْمُحِيطَاتِ

بَرَزْتَ مِنَ الْأَعْمَاقِ

وَدَخَلْتَ حَيَاتِي

فَحَمَلْتَ إِلَيْهَا الْمُبْهَمَ وَالْغَامِضَ

الَّذِي يُحِيطُ بِكَ

كَمَا تُحِيطُ الْغَيْمَةُ بِالنَّجْمَةِ

وَقَدْ جَعَلَ مِنْكَ الْفَنَّا

بِأَصَابِعِهِ الْمَاهِرَةِ

شَيْئًا قَرِيبًا

وَحِينَ تَكُونُ بَعِيدًا فَقَطْ

يُمْكِنُ لِلرَّاحَةِ أَنْ تَكُونَ صَمْتًا.
إِنَّ الْجَمَالَ الَّذِي يَحْمِي الْهَيْكَلَ الدَّاخِلِيَّ
يَجْعَلُنِي بَعِيدًا عَنْكَ بَعْدًا كَبِيرًا

* * *

أمل

لَقَدْ حَمَلْتُ فِي نَفْسِي طَوِيلًا
الْأَمَلَ فِي أَنْ أَعِيشَ وَحْدِي
مَعَ نَفْسِي
فِي زَاوِيَةٍ مُنْعَزِلَةٍ مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ
لَا ثَرْوَةَ وَلَا جَاهُ
وَلَكِنْ كُوخٌ صَغِيرٌ فَحَسَبَ
هَذَا مَا أَمَلْتُهُ
الظَّلَالُ النَّدِيَّةُ لِلْأَشْجَارِ
الْمَجْرَى الصَّامِتُ لِلنَّهْرِ
نَجْمَةُ الْمَسَاءِ الْمُتَأَلِّقَةُ عِنْدَ الْغُرُوبِ
أَرِيحُ أَزْهَارَ الْكَامِلِي الْمُتَصَاعِدِ إِلَى النَّافِذَةِ
أَوَّلُ أَنْوَارِ الْفَجْرِ الَّتِي تُشَبِّهُ خُيُوطَ الْمَاءِ

بِكُلِّ هَذَا كُنْتُ أَطْمَحُ أَنْ أَمْلَأَ أَيَّامِي
بِالدُّمُوعِ وَالضَّحَكَاتِ
لَا ثَرَوَةً وَلَا جَاهًا
وَلَكِنْ مُجَرَّدُ كُوحٍ صَغِيرٍ
هَذَا مَا أَمَلْتُهُ .
لَقَدْ حَمَلْتُ طَوِيلًا الْأَمَلَ
بِأَنْ تَجِدَ تَأْمَلَاتُ قَلْبِي
صَوْتَهَا الْكَامِلَ
لَا ثَرَوَةً وَلَا جَاهًا
وَلَكِنْ مُجَرَّدُ تَعْبِيرِي الْخَاصِ
هَذَا مَا أَمَلْتُهُ
إِنْ شَمَسَ الْغُرُوبِ تَرَسُّمٌ فَوْقَ الْغُيُومِ
صُورَةً تَحَقُّقُهَا
مُمَثِّلَةٌ فِي أَلْوَانِ الطِّيفِ
بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ سَأَخْلُقُ (مَآيَا)

بِالظَّلَالِ وَالْأَضْوَاءِ
 فِي عَالَمِ الْأَحْلَامِ
 بِكُلِّ هَذَا سَامِلًا أَيَّامِي
 بِالذُّمُوعِ وَالضَّحَكَاتِ
 لَا ثُرُوءَ وَلَا جَاهَ
 مُجَرَّدُ تَفْتَحِ أَفْكَارِي
 وَهِيَ ثَمَرَةٌ تَأْمُلَاتِي
 هَذَا مَا رَجَوْتُهُ وَأَمَلْتُهُ .

* * *

مِنْذُ زَمَنٍ بَعِيدٍ
 وَهَبْتُكَ قَلْبِي
 وَلَكِنْ دُمُوعُكَ الرَّقِيقَةُ لَمْ تُقَدِّسَهُ
 وَلَمْ يُنْعِشْهُ نَدَى الْعَوَاطِفِ اللَّطِيفَةِ
 لَقَدْ ذُبُلْتُ الزُّهُورُ
 وَلَيْسَ هُنَاكَ إِكْلِيلُ يَزِينُ عُنُقَكَ .

يَبْدُو لِي أَنِّي أَرَى اللُّطْفَ

يَتَأَلَّقُ فِي عَيْنَيْكَ .

وَلَكِنَّهُ تَلَأَشَى مِثْلَ الزُّهُورِ الذَّابِلَةِ

فَإِذَا حَدَثَ وَأَنْتَ تَطَأُ هَذِهِ الْأَرْضَ

أَنْ وَقَعَتْ بِذَرَّةٍ مِنْ يَدَيْكَ

فَإِنَّهَا سَتُعُودُ إِلَيْكَ

كَحَيَاةٍ جَدِيدَةٍ

كَثْمَرَةٍ أَبَدِيَّةٍ

عِنْدَمَا يَرْحَلُ الرَّبِيعُ

فَإِنَّهُ يَتْرُكُ بَاسِمًا

لَمَسَةً الزُّهُورِ عَلَى حَافَةِ الْغَايَةِ .

وَهَكَذَا

فَإِنَّكَ حِينَ تَرْحَلِينَ

سَتُزْهِرُ ابْتِسَامَةً

وَبِإِقْبَاعِ رَاقِصٍ تَسْقُطُ زَهْرَةٌ

سَيَنْزِلُ قَارِبُكَ وَيَنْسَابُ فِي الْيَمِّ
وَأَنَا الْمَتْرُوكُ الْمُتَأَخِّرُ
سَأُحْدَقُ فِي الْبَعِيدِ
وَحِينَ تَسْكُبُ الشَّمْسُ الْغَارِبَةُ
أَشِيعَتَهَا الذَّهَبِيَّةُ
فَوْقَ شِرَاعِكَ
فَإِنَّ الظَّلَامَ يَسُودُ قَلْبَ اللَّيْلِ

* * *

لَا تُوقِظُهُ ، لَا تُوقِظُهُ
إِنْ هَزِيمَتُهُ تَعُودُ إِلَى الْقَدَرِ الْقَاسِي
وَهُوَ يَتَطَلَّعُ إِلَى أَنْ يُغْرِقَ جَمِيعَ الرُّغَبَاتِ
فِي هَاوِيَّةِ سَحِيقَةٍ
أَيُمْكِنُ أَنْ يَتَلَأْسَى ثِقْلُ التَّنْهَدِ الْفَاحِشِ
وَيَبْلُغَ نَوْمًا عَمِيقًا فِي سَوَادِ الْحَبْرِ الْأَسْوَدِ
مَاحِيًا مِنْ صَفْحَةِ الذَّاكِرَةِ

كَلِمَاتِ الْمَاضِي السَّخِيفَةِ
دَعْ هَمَسَاتِ لَوْعَتِهِ تَسْكُتُ
وَتُصْبِحُ صَامِتَةً فِي مِثْلِ هُدُوءٍ وَكُرٍ
الْعَصَافِيرِ النَّائِمَةِ

* * *

القدوم والرحيل

يا حَبِيبَتِي
تَعَالِي بِحُطُواتِ صَامِتَةٍ
كَأَنَّكَ فِي الحُلُمِ .
حِينَ رَحَلْتَ أَرْسَلَ البَابُ صَرِيرًا
فَانْدَفَعَتْ لِدَعْوَتِهَا إِلَى الرُّجُوعِ
وَلَكِنِ الحُلُمُ صَارَ غَيْرَ مُتَجَسِّدٍ
وَتَلَأَشَى فِي الظُّلَامِ
وَارْتَجَافُ القِنْدِيلِ مِنْ بَعِيدٍ
كَانَ كَسْرَابٍ أَحْمَرَ يَلُونِ الدَّمِ

* * *

يا إِلَهِي
إِنِّي أُحِبُّ

الْأَمْنِ الَّذِي يَسْكُنُ حُقُولَ الْأَرْضِ
 الْمُتَمَدَّةَ حَتَّى أَقَاصِي الْأُفُقِ
 وَالصَّوْتِ الْمُتَصَادِي
 فِي نُورِ الزُّرْقَةِ الصَّافِي
 وَالِدَهْشَةِ الَّتِي يَتَلَاعَبُ بِهَا
 تَدْفُقُ الْأَنْعَامُ
 عَلَى الضَّفَافِ الْمُتَعَزِّلَةِ مِنَ النَّهْرِ
 إِنْ كُوخِي تَلْفُهُ الرِّيَّاحُ وَتُحِيطُ
 بِهِ السَّمَاءُ وَيُطَوِّقُهُ النُّورُ
 فِي اطمِئْنَانٍ ، وَفَرَحٍ ، وَسَعَادَةٍ
 وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّهُ عِنْدَمَا وَصَلَنِي
 رَسُولُكَ حَامِلًا الدَّعْوَةَ السَّامِيَةَ
 فَإِنِّي أَلْتَمِسُ أَنْ تَهْبِيَنِي الْقُوَّةَ .

* * *

طَوَالَ أَغْوَامٍ عَدِيدَةٍ

وَبِشْمَنِ بَاهِظٍ
جَبْتُ مُخْتَلَفَ الْبُلْدَانِ
وَذَهَبْتُ لِمُشَاهَدَةِ الْمُحِيطَاتِ
وَلَكِنِّي لَمْ أَفْطِنَ
إِلَى قَطْرَةِ النَّدى الْمُتَأَلِّقَةِ
فَوْقَ سُنْبُلَةِ الْقَمْحِ
أَمَامَ عَتَبَةِ بَابِي .

* * *

إِنَّ الْحَيَاةَ الَّتِي تَتَدَفَّقُ فِي عُرُوقِي
نَهَاراً وَلَيْلاً
تَرْفُصُ عَلَى إِبْقَاعِ السَّمَاوَاتِ الْعَجِيبِ
وَتَجْرِي عَبْرَ مَسَامَاتِ الْأَرْضِ
نَاشِئَةً أَوْ رَاقَ الْفَرَحِ فِي الزُّهُورِ
وَالْبُذُورِ
وَعَاماً بَعْدَ عَامٍ

تَتَنَاقَبُ الْحَيَاةُ وَالْمَوْتُ ، الْخُطَوَاتِ
بِمَدِّ الْمُحِيطَاتِ وَجَزْرِهَا .
إِنَّ الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ تَنْبِضُ عَبْرَ أَعْضَائِي
خَالِغَةً عَلَيْهَا جَلالاً
وَحَفَقَانُ قَلْبِ الْعُصُورِ جَمِيعِهَا
يَرْقُصُ فِي أَعْضَائِي

* * *

فِي صَمْتِ اللَّيْلِ
وَبُحْيُونِ مُبَلَّلَةٍ بِالدَّمْعِ
قَبَّلْتَنِي وَهَمَسَتْ فِي أُذُنِي
إِذَا تَرَكَتْنِي
فَإِنْ ثِقُلَ هَذَا الْفَرَاغُ
سَيُخَيِّفُنِي
وَعَالَمِي سَيَعْدُو قَاسِيًا
وَضَجَرُ السَّمَاءِ الْمُنْتَشِرُ فِي الْآفَاقِ
سَيَبْعِدُ كُلَّ أَمْنٍ .

أَلَمْ غَامِضٌ، مَضَّاضٌ، أَبْكَمُ
مَوْتُ أَفْطَعُ مِنَ الْمَوْتِ .
وَحِينَ سَمِعْتُ ذَلِكَ مِنْكَ
ضَمَمْتُكَ بِقُوَّةٍ إِلَى قَلْبِي
وَهَمَسْتُ

إِذَا رَحَلْتَ
فَسَيَّرَدُّ صَدَاكَ فِي أَغْنِيَاتِي
وَيَشِيْعُ فِيهَا الْأَلَمُ كَالْوَمْضِ الْخَاطِفِ
وَسَوْفَ أَجِدُ فِي الْإِبْتِعَادِ عَنْكَ
بَابَ قَلْبِي

وَأَجِدُ بَيْتَكَ فِي عَالَمِي
وَأَصْنَعُ النُّجُومَ إِلَى هَذَا الْهَمْسِ
وَنَشَرْتُ رِسَالَاتَهَا عَبْرَ زُهُورِ الْغَابِ
وَحِينَئِذٍ وَصَلَ فَجْأَةً فِرَاقُ الْمَوْتِ
وَتَوَقَّعْتُ مُبَادَلَاتِنَا الْغَرَامِيَّةَ

ولكن هذا الفراغ ليس فراغاً بسيطاً
إن السماء مكسوة بغيومٍ مُثْقَلَةٍ
باللوعةِ

وفي نارِ هذه اللوعةِ
أخلقُ أنا أغنيائي
وعالمَ أحلامي

* * *

في انتظارك

في نَوْمِكَ
وفي حُدُودِ أَحْلَامِكَ
أَنْتَظِرُ وَأَرْقُبُ فِي صَمْتٍ ، مُحَيَّاكَ
مِثْلَ نَجْمَةِ الصَّبَاحِ الَّتِي تَبْدُو أَوَّلَ
مَا تَبْدُو عِنْدَ نَافِذَتِكَ
وفي الطَّرِيقِ نَفْسِهَا ، وَفَرِيحاً مِنْ شَاطِئِ
الْبَحْرِ
يَغْرَقُ النَّاسِكُ فِي تَأْمَلَاتِهِ
مُوَلِّياً وَجْهَهُ نَحْوَ الشَّرْقِ
إِنْ سَاعَاتِ سَهْرِهِ تَمْضِي فِي نَشْوَةٍ
مُورَقَّةٍ
وَلَا يَنْتَظِرُ سِوَى أَنْ يَغْرَقَ فِيهَا

مَعَ أَوَّلِ أَضْوَاءِ الصَّبَاحِ .
وَبِعَيْنِيَّ

سَوْفَ أَشْرَبُ ابْتِسَامَتِكَ الْأُولَى
الَّتِي تُزْهِرُ فَوْقَ شَفَتَيْكَ شَيْبَهُ الْمَفْتُوحَتَيْنِ
مِثْلَ بُرْعَمٍ فِي تَفْتُّحِهِ
هَذِهِ رَعْبَتِي . .

أَيُّهَا الْحُزْنُ
حِينَ تَعْمُرُ الْقَلْبَ لَوَعَةً
لَا تَقْبَلُ الْعَزَاءَ

وَيَأْتِي الْحَارِسُ مِنَ الْخَارِجِ
لِيَسُدَّ جَمِيعَ الْأَبْوَابِ فِي وَجْهِ الْعَزَاءِ
فَعَلَى الذَّهْنِ إِذْنٌ أَنْ يَسْتَخْرِجَ
سَنَدَهُ الْوَثِيقَ مِنَ الْأَعْمَاقِ الْحَوِيْمَةِ
وَقَطْرَاتٍ مِنَ الرَّحِيقِ تَتَدَفَّقُ كَالدُّمُوعِ
هَذَا (أَنَا نَذَا) يُزْهِرُ فِي (أَلَانَا)

جَاعِلًا كُلَّ أَلَمٍ أَلَمَهُ ، وَكُلَّ وَجَعٍ
وَجَعَهُ

وَفِي هَذِهِ الظُّلْمَةِ الْعَمِيقَةِ
أَجِدُ فِي قَلْبِي النُّورَ الَّذِي لَا يُطْفَأُ
وَأَفْهَمُ أَنَّ السَّمَاءَ تَسْكُنُ دَوِّمًا فِي دَاخِلِي

* * *

النهاية

إِذَا وَجَدْتَ فِي قَلْبِكَ الْغَايَةَ الْأَسْمَى
وَفِي (فِينَا) كُلِّ الْمُتَنَاقِضَاتِ
وَهِيَ تَنْدَمِجُ كُلُّهَا فِي انْسِجَامٍ عَذْبٍ
وَإِذَا كَانَتْ شَمْسُ الْغُرُوبِ
حِينَ تَحْمِلُ النَّهَارَ إِلَى الْمَجْهُولِ الْغَامِضِ
تَدْعُوكَ إِلَى الْعَوْدَةِ
وَفِي عِبَادَةِ الْجَمَالِ
تَسْكُبُ آخِرَ أَشِعَّتِهَا .
وَإِذَا كَانَ الْمَسَاءُ تَحْتَ قُبَّةِ
الْلاَئِهَائِي
يُظْهِرُ كَيْفَ يَتَأَجَّجُ مَصْبَاحُ الْأَمْنِ وَالسَّلَامِ
وَإِذَا كَانَ اللَّيْلُ يَفْتَحُ أَبْوَابَ صَمْتِهِ

وَيَقُودُ بِلُطْفٍ إِلَى ضِفَّةِ الْحَاجِّ
حَيْثُ تَنْصَهَرُ جَمِيعُ الْأَصْوَاتِ فِي الْمُحِيطِ
الضَّخْمِ
وَإِذَا تَطَلَّعْتَ إِلَى عِطْرِ اللُّوْثِ
الَّذِي يَطْفَحُ فَوْقَ بُحَيْرَةِ الْفِكْرِ
كَهَبَةٍ أَخِيرَةٍ
كَتَجِيَّةٍ أَخِيرَةٍ
فَعَلَيْكَ إِذْنُ أَنْ تَخْتِمَ النَّهَارَ
وَتَدَعَ الْعَمَلَ يَتَوَقَّفُ

* * *

لَقَدْ تَغَذَّتْ حَيَاتِي مِنَ النَّهْرِ
وَعَبَّرَ جَدَاوِلَهُ
كَانَتْ عَطَايَا الْكَثِيرِ مِنْ قِمَمِ الْجِبَالِ
تُنْسَكِبُ فِي السُّفُوحِ
فَتُغْنِي حُقُولَهَا بِطِينِ النَّهْرِ الْعَظِيمِ

إِنْ نَسَغَ الْحَيَاةَ الْعَجَبِيَّةَ
يَغْذِّي الْحُقُولَ مِنْ عِدَّةِ مَنَابِعِ
وَتَحِيطُ بِحُلْمِهِ وَيَقْطَعُهُ
سَيُولٍ مِنَ الْأَعْيَانِ
تَتَدَفَّقُ مِنَ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ
إِنْ النَّهْرَ رَسُولُ الْكَوْنِ
الَّذِي يُقَرِّبُ الْبَعِيدَ
وَيَحْمِلُ إِلَى بَيْتِ الْبَعْضِ
تَحِيَّةَ الْمَجْهُولِ
ذَلِكَ النَّهْرُ قَدْ نُسِجَ فِي كُلِّ أَعْوَامِي

* * *

المِلَالُ

منطق الطفل

لو أراد الطفلُ
فسيكونُ في وسعِهِ أَنْ يُحَلِّقَ في السَّمَاءِ
فَوْرًا
وبقاؤه مَعَنَا لَا يَخْلُو مِنْ مَعْنَى
فهو يُجِبُّ أَنْ يُرِيحَ رَأْسَهُ عَلَى صَدْرِ أُمِّهِ
وَلَا يُطِيقُ مُجَرَّدَ غِيَابِهَا عَنْ بَصَرِهِ .
والطُّفْلُ الصَّغِيرُ يَعْرِفُ كُلَّ ضُرُوبِ
الكَلِمَاتِ الْحَكِيمَةِ رَغْمَ أَنَّ الَّذِينَ
يُذَرِّكُون مَعْنَاهَا ، قَلَّةٌ نَادِرَةٌ
وَإِحْجَامِهِ عَنِ الْكَلَامِ لَا يَخْلُو مِنْ مَعْنَى
والشيءُ الْوَحِيدُ الَّذِي يَرْتَعِبُ فِيهِ
أَنْ يَتَعَلَّمَ الْكَلِمَاتِ مِنْ شَفَتَيْ أُمِّهِ

ولهذا يَبْدُو بِرِيثاً سَازِجاً
والطُّفْلُ الصَّغِيرُ يَتَوَفَّرُ عَلَى كُنُوزِ
مِنَ الذَّهَبِ وَاللَّائِي
وَمَعَ ذَلِكَ ، فَقَدْ جَاءَ هَذِهِ الْأَرْضَ
فِي هَيْئَةٍ مُتَسَوِّلٍ
وَلَيْسَ مِنَ الْعَبَثِ
أَنْ يَتَّخِذَ هَذَا الْمَظْهَرُ
فَهَذَا الصَّغِيرُ الْعَزِيزُ الْمُتَسَوِّلُ الْعَارِي
كَانَ يَصْطَنِعُ الْعَوَزَ
لِكَيْ يَطْلُبَ حُبَّ أُمِّهِ
وَالطُّفْلُ الصَّغِيرُ خَالٍ مِنْ كُلِّ قَيْدٍ
فِي بَلَدِ الْهَلَالِ الرَّهِيْفِ
وَلَيْسَ مِنَ الْعَبَثِ
أَنْ يُدْرِكَ أَنَّهُ بِتَخَلُّيهِ عَنْ حُرِّيَّتِهِ
يَسْتَعِيزُ عَنْهَا بِفَرَحٍ لَامَحْدُودٍ

في رُكنٍ صَغِيرٍ
من قلبِ أمّه
وأَعَذَبُ مِنَ الحُرِيَّةِ
أَنْ تَضُمَّهُ أمّه بَيْنَ ذِرَاعَيْهَا الحَانِئَتَيْنِ
والطِّفْلُ لَا يَعْرِفُ البَكَاءَ
لأنه يَسْكُنُ فِي وَطَنِ السَّعَادَةِ الكَامِلَةِ
لَيْسَ مِنَ العَبَثِ
أَنْ يَكُونَ قَدْ اخْتَارَ سَكْبَ الدُّمُوعِ
حَتَّى يَجْذِبَ بِابْتِسَامَةٍ وَجْهَهُ الصَّغِيرِ
اللَّطِيفِ
قَلْبَ أمّه الحَنُونِ
وَدُمُوعَهُ الصَّغِيرَةِ الَّتِي تُثِيرُهَا
آلَامُهُ البَسِيطَةُ تَنْسِجُ لَهُ رِبَاطاً
مِن الرِّحْمَةِ والحُبِّ

البيت

كنتُ أَمْشِي وَحْدِي
 فِي الدَّرْبِ الْوَاقِعِ بَيْنَ الْحُقُولِ
 وَكَانَ الْغُرُوبُ يُبْدِي فِي بُحُلٍ
 آخِرَ أَلْوَانِهِ الذَّهِيَّةِ
 وَالنَّهَارُ يَغْطِسُ فِي الظُّلْمَةِ
 وَالْأَرْضُ الْجَرْدَاءُ الَّتِي حَصَدَتْ مَحَاصِيلَهَا
 كَانَتْ تَمْتَدُّ فِي صَمْتٍ ..
 وَفُجْأَةً ارْتَفَعَ فِي الْجَوِّ
 صَوْتُ حَادٍّ
 صَوْتُ طِفْلِ كَانَ يَسِيرُ فِي الظُّلْمَةِ
 تَارِكًا خَلْفَهُ أَثَرَ أَغْنِيَّتِهِ
 وَكَانَتْ قَرْيَتُهُ تَقَعُ فِي نِهَآيَةِ الْأَرْضِ غَيْرِ الْمَرْرُوعَةِ

بَعْدَ حَقْلٍ قَصَبِ السُّكَّرِ
 مُخْتَبِتَةً بَيْنَ ظِلَالِ الْمَوْزِ وَأَشْجَارِ
 النَّخْلِ السَّامِقَةِ وَجُوزِ الْهِنْدِ
 وَأَشْجَارِ (الْحَاكِ) الْخَضِرَاءِ .
 وَتَوَقَّفْتُ بِرَهَةٍ قَصِيرَةٍ
 صَامِتًا تَحْتَ أَضْوَاءِ النُّجُومِ
 وَأَمَامِي
 كُنْتُ أَرَى الْأَرْضَ الْمُظْلَمَةَ
 تَحْتَضِنُ بِذِرَاعَيْهَا عَدَدًا كَبِيرًا
 مِنَ الْمَسَاكِينِ الْعَامِرَةِ بِالْأَسْرَةِ وَالْمُهْوَودِ
 وَقُلُوبِ الْأُمَّهَاتِ ، وَقَنَادِيلِ الْمَسَاءِ
 وَنُفُوسِ شَابَةِ سَعِيدَةٍ
 سَعَادَةٍ لَا تَعْرِفُ هِيَ نَفْسُهَا شَيْئًا عَنْ
 قِيَمَتِهَا بِهَذَا الْكُونِ . . .

المشهد المهمل

إيه ، يا طفلي
 من الذي صبغ ثوبك الصغير
 وغطى أطرافك الغضة بذلك
 الرداء الأحمر الصغير؟
 لقد خرجت عند الصبح للعب
 فكنت تركض في غير اطمئنان
 وتكبر في بعض الأحيان
 ولكن من الذي صبغ هذا الثوب الصغير
 يا بني . .
 ما الذي يضحكك
 يا زهرتي الصغيرة
 أمك تبسم لك عند عتبة الباب

وَتُصَفِّقُ لَكَ فَتَرِنٌ أَسُورُتُهَا
 فَتَرُقْصُ أَنْتَ لِذَلِكَ
 وَقَدْ أَمْسَكَتْ قَصَبَةَ الْبَامْبُو بِيَدِكَ
 كَأَنَّكَ رَاعٍ صَغِيرٍ
 وَلَكِنَّ مَا الَّذِي يُضْحِكُكَ
 يَا زَهْرَتَي الصُّغِيرَةِ؟
 أَيُّهَا الْمُتَسَوِّلُ.. مَاذَا تَسْتَجِدِّي
 مُتَعَلِّقًا بِعُنُقِ أُمِّكَ بِكِلْتَا يَدَيْكَ؟
 أَيُّهَا الْقَلْبُ النَّهْمُ. أَيَنْبَغِي عَلَيَّ
 أَنْ أَقْطِفَ الْكَوْنَ كَمَا لَوْ كَانَ فَاكِهَةً
 سَمَاوِيَّةً لِأُلْقِي بِهِ فِي يَدِكَ الْوَرْدِيَّةِ؟
 أَيُّهَا الْمُتَسَوِّلُ.. مَاذَا تَسْتَجِدِّي؟
 إِنَّ الرِّيحَ تَحْمِلُ فِي فَرْحِ
 صَدَي رَنَاتِ خَلَاحِيلِكَ الصُّغِيرَةِ
 وَالشَّمْسُ تَبْتَسِمُ لِرُؤْيَا هِنْدَامِكَ

وَالسَّمَاءُ تَسْهَرُ عَلَيْكَ
حِينَ تَغْفُو بَيْنَ ذِرَاعِي أُمِّكَ
وَالْفَجْرُ يَقْتَرِبُ مِنْ سَرِيرِكَ الصَّغِيرِ
عَلَى أَطْرَافِ قَدَمَيْهِ ، لِيُقْبَلَ
عَيْنَيْكَ
إِنَّ الرِّيحَ تَحْمِلُ فِي فَرْحِ
رَنِينَ خَلَائِكَ الصَّغِيرَةِ
وَحُورِيَّةِ الْأَحْلَامِ تَهْبِطُ إِلَيْكَ
مُحَلَّقَةً عَبْرَ السَّمَاءِ بِجَوَارِكَ
فِي قَلْبِ أُمِّكَ
وَذَلِكَ الَّذِي يَعْرِفُ مُوسِيقَاهُ
لِلنَّجُومِ يَقِفُ إِلَى نَافِذَتِكَ
بِنَايِهِ الرَّهِيْفِ
وَحُورِيَّةِ الْأَحْلَامِ تَنْزِلُ نَحْوَكَ
عَبْرَ سَمَاءِ الْعُرُوبِ

سارقة النوم

مَنْ الَّذِي سَرَقَ النَّوْمَ مِنْ عَيْنِي الطَّفْلِ الْوَلِيدِ؟
 يَجِبُ عَلَيَّ أَنْ أَعْرِفَهُ
 إِنَّ الْأُمَّ وَهِيَ تَضُمُّ الْجُرَّةَ إِلَى صَدْرِهَا
 قَدْ ذَهَبَتْ لِأَخْذِ الْمَاءِ مِنَ الْقَرْيَةِ الْقَرِيبَةِ
 كَانَ مُتَّصِفَ النَّهَارِ
 وَوَقْتُ اللَّعِبِ قَدْ لِنْتَهَى
 وَبَجْعُ الْغَدِيرِ لَزِمَ الصَّمْتَ
 وَالرَاعِي يَرْقُدُ تَحْتَ ظِلِّ شَجَرَةِ الْبَنَانِ الْكَبِيرَةِ
 وَمَالِكُ الْحَزِينِ مُتَّجِهٌ وَسَاكِنُ عِنْدَ الْغَدِيرِ
 الْوَاقِعِ قُرْبَ غَابَةِ الْمَانِجَا
 فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ جَاءَتْ سَارِقَةُ النَّوْمِ
 وَانْتَرَعَتْ النَّوْمَ مِنْ عَيْنِي الطَّفْلِ
 وَطَارَتْ

وَعِنْدَ الْعُودَةِ ، وَجَدَتِ الْأُمُّ طِفْلَهَا
يَحْبُو فِي الْغُرْفَةِ
مَنْ الَّذِي سَرَقَ النَّوْمَ مِنْ عَيْنِي طِفْلِنَا ؟
عَلِيٌّ أَنْ أَعْرِفَهَا
عَلِيٌّ أَنْ أَعُثِّرَ عَلَيْهَا وَأَقِيدَهَا بِالسَّلَاسِلِ .
عَلِيٌّ أَنْ أَفْتَشَ فِي الْكَهْفِ الْمُظْلِمِ
بَيْنَ الصُّخُورِ وَالْأَحْجَارِ الْمُتَجَهِّمَةِ
حَيْثُ يَتَأَلَّقُ جَدُولٌ صَغِيرٌ
عَلِيٌّ أَنْ أَفْتَشَ فِي الظِّلِّ النَّاعِسِ
مِنْ غَايَةِ الْبَاكُولَا الصَّغِيرَةِ حَيْثُ
حَيْثُ الْحَمَامُ يَقْبَعُ فِي زَوَايَاهُ
وِخْلَانِخِيلِ تَرْنٍ فِي سَيِّقَانِ الْحُورِيَّاتِ
مِنْ صَمْتِ اللَّيَالِي الْمَرَصَّعَةِ بِالنُّجُومِ
وَفِي الْمَسَاءِ ، سَوْفَ أُسْرِقُ النَّظَرَ
فِي صَمْتِ غَايَةِ الْبَامْبُو « حَيْثُ الْحُبَّاحِبِ
تُبَدُّ أَضْوَاءَهَا ، وَاسْأَلْ كُلَّ مَخْلُوقٍ
أَقَابِلُهُ (أَفِيكُمْ مَنْ يَدُلُّنِي عَلَى سُكْنَى

سارقة النوم)
 التي سَرَقَتُ النُّومَ من عَيْنِي الطِّفْلَ؟ عَلَيَّ أَنْ أَعْرِفَهَا
 لو اسْتَطَعْتُ الْقَبْضَ عَلَيْهَا
 لَلْقَنْتُهَا دَرْسًا هَائِلًا .
 سأَذْهَبُ إلى وَكْرَهَا .
 وَأَنْظُرُ أَيْنَ تَجْمَعُ كُلَّ النُّومِ الْمَسْرُوقِ
 سأَخْذُهُ لَأُعُودَ بِهِ إلى الْبَيْتِ
 سأَقِيدُ جَنَاحَيْهَا قِيدًا مُحْكَمًا
 وَأَضَعُهَا عِنْدَ ضِفَّةِ النَّهْرِ
 وأَتْرُكُ لَهَا أَنْ تَصْطَادَ السَّمَكَ
 بَيْنَ الْأَسَلِ
 وَحِينَ تَنْتَهِي السُّوقُ فِي الْمَسَاءِ
 وَيَجْلِسُ أَطْفَالُ الْقَرْيَةِ
 فِي أَحْضَانِ أُمَّهَاتِهِمْ
 فَإِنْ طَيَّورَ اللَّيْلِ سَوْفَ تَصُمُّ
 سَمْعَهَا بِالتَّرْدِيدِ
 مِمَّنْ سَتَسْرِقِنَ النُّومَ . الْآنَ ؟ ..

البداية

مِنْ أَيْنَ جِئْتُ؟ وَمِنْ أَيْنَ أَخَذْتَنِي؟
 كَانَ الطِّفْلُ الصَّغِيرُ يَسْأَلُ أُمَّهُ
 فَأَجَابَتْهُ الْأُمُّ بِأَكْيَةٍ
 وَشِبْهِ ضَاحِكَةٍ ، وَهِيَ تَضُمُّهُ
 إِلَى صَدْرِهَا .
 لَقَدْ كُنْتُ مُخْتَفِيًّا فِي قَلْبِي
 كَأَمْنِي يَا حَبِيبِي
 كُنْتُ فِي دُمِّي أَلْعَابِ طُفُولَتِي
 وَحِينَ كُنْتُ ، كُلَّ صَبَاحٍ
 أَصْنَعُ مِنَ الطِّينِ صُورَةَ إِلَهِي
 كُنْتُ أَيْضًا أَكُونُ
 صُورَتَكَ وَأَعِيدُ تَكْوِينَهَا
 لَقَدْ كُنْتُ مُحْفُوظًا فِي خِزَانَةِ ذَخَائِرِ

مُقَدَّسَاتِنَا الْعَائِلِيَّةُ
 وَفِي عِبَادَتِنَا لَهَا ، كُنَّا نَعْبُدُكَ
 فِي كُلِّ آمَالِنَا
 وَفِي كُلِّ حُبِّنَا
 وَفِي حَيَاتِي ، وَحَيَاةِ أُمِّي
 كُنْتَ أَنْتَ الَّذِي تَعِيشُ
 وَفِي حِضْنِ الرُّوحِ الْخَالِدَةِ
 الَّتِي تَحْفَظُ أَسْرَتَنَا
 تَغَذَّتْ هُنَاكَ لِأَعْوَامٍ عَدِيدَةٍ
 وَعِنْدَ شَبَابِي ، وَحِينَ فَتَحَ
 قَلْبِي أَفْوَافَهُ
 كُنْتَ تَحُومُ حَوْلَهُ كَالْعِطْرِ
 وَأَزْدَهَرَ لُطْفُكَ فِي جَسَدِي الشَّابِّ
 مِثْلَ رَوْعَةِ السَّمَاءِ قُبَيْلِ الْفَجْرِ
 أَنْتَ يَا أَوَّلَ حُبِّ سَمَاوِيٍّ
 يَا تَوَّامَ نُورِ الصَّبَاحِ
 هَبَّطْتَ إِلَيْنَا رَفَافَ الْجَنَاحَيْنِ فَوْقَ تَيَّارِ حَيَاةِ الْعَالَمِ

وأخيراً نَزَلَتْ في قلبي
و حينُ الأَحِظْ وَجْهَكَ الصَّغِيرِ
يَغْلِبُنِي السِّرُّ وَيَغْرِقُنِي
أَنْتَ الَّذِي تَخُصُّ الْجَمِيعَ
صِرْتَ لِي وَحْدِي
و خَوْفًا مِنْ أَفْقِدَكَ
أُضْمُكُ إِلَى صَدْرِي
أَيُّ سِحْرِ هَذَا الَّذِي قَيَّدَ
خَزَائِنَ الْكَوْنِ بَيْنَ ذِرَاعِيَّ
الْوَاهِتَيْنِ؟

دنیا الطفل

أُرِيدُ أَنْ أَشْغَلَ زَاوِيَةً هَادِئَةً
 مِنْ قَلْبِ دُنْيَا طِفْلِي
 أَعْرِفُ أَنَّ النُّجُومَ تَتَحَدَّثُ إِلَيْهِ
 وَأَنَّ السَّمَاءَ تَنْحَنِي فِي حُنُوٍّ عَلَى مُحْيَاهُ
 لِتُبْهِجَهُ بِأَقْوَاسٍ قُزَحٍ وَبَعْضِ الْغُيُومِ الْعَابِثَةِ .
 تِلْكَ الْأَشْيَاءُ الَّتِي تَتَظَاهَرُ بِأَنْهَا بِكَمَاءٍ
 وَتُظْهِرُ أَنَّهَا غَيْرُ قَادِرَةٍ عَلَى الْحَرَكَةِ
 تَأْتِي كُلُّهَا إِلَى نَافِذَتِهِ وَتَتَمَلَّقُهُ
 بِأَقَاصِيصِهَا وَبِأَوْعِيَةٍ مَلَأَى بِاللُّعْبِ الْبَرَّاقَةِ
 لَكُمْ أَتَمَنَّى أَنْ أَرْحَلَ عَبْرَ الطَّرِيقِ
 الَّتِي تَخْتَرِقُ عَقْلَ الطِّفْلِ ،
 وَخَارِجَ كُلِّ الْحُدُودِ

حَيْثُ الرُّسُلُ تَحْمِلُ أَنْبَاءَ لَا غَايَةَ لَهَا
بَيْنَ مَمَالِكٍ لَا تَنْتَهِي إِلَى أَيِّ تَارِيخٍ
حَيْثُ يَجْعَلُ الْعَقْلُ مِنْ قَوَائِينِهِ
نُسُوراً يَدْفَعُهَا إِلَى التَّحْلِيلِ
وَحَيْثُ الْحَقِيقَةُ تُحَرِّرُ الْوَقَائِعَ
مِنْ أَسْرِ الْعُبُودِيَّةِ

متى ولماذا

حين أحملُ إليك ، يا طفلي الصغير
 دُمى متعدّدة الألوان
 فلاني أفهمُ سرَّ وجودِ العديد من الألوان
 في الغيومِ والماءِ
 وأفهمُ لماذا كانت الزهورُ ملوّنةً
 بطريقة غريبة
 حين أهدي إليك دُمى متعدّدة الألوان.
 وحين أغني لترقيصك
 أفهمُ حقاً لماذا تُوجدُ موسيقى
 في أوراقِ الشجرِ
 والأمواجُ تُرسلُ أناشيدَ
 أصواتها المأثية حتّى تبلغَ قلبَ الأرضِ المُصغية إليها
 حين أغني لترقيصك

وَحِينَ أَقْدَمُ الْحَلَوَى إِلَى يَدَيْكَ الشَّرِهَتَيْنِ
أَفْهَمُ لِمَاذَا يُوجَدُ الْعَسَلُ
فِي أَكْمَامِ الزَّهْرِ
وَلِمَاذَا كَانَتْ الْفَوَاكِهَ مِلِيَّةً
بِالْعَصِيرِ اللَّذِيذِ

وَحِينَ أَقْدَمُ الْحَلَوَى إِلَى يَدَيْكَ
وَحِينَ أَقْبَلَكَ مِنْ أَجْلِ أَنْ تَبْتَسِمَ
يَا حَبِيبِي ، أَفْهَمُ يَقِيناً
تِلْكَ الْبَهْجَةُ الَّتِي تَنَالُ مِنَ السَّمَاءِ
فِي ضَوْءِ الْفَجْرِ ، وَآيَ مُتَعَةٍ
يَمْنَحُهَا نَسِيمُ الصَّيْفِ إِلَى كَيَانِي الْجَسَدِيِّ
وَحِينَ أَقْبَلَكَ مِنْ أَجْلِ أَنْ تَبْتَسِمَ

تَـشْهـير

لِمَاذَا كُلُّ هَذِهِ الدَّمُوعِ فِي عَيْنَيْكَ
 يَا طِفْلِي الصَّغِيرِ؟
 لَكُمْ يُبَالِغُونَ فِي تَأْنِيكِ
 لِأَتَقَهُ الْأَسْبَابِ ، عَلَى الدَّوَامِ
 لَقَدْ لَطَّخْتَ يَدَكَ وَوَجْهَكَ
 بِالْحَبِيرِ أَثْنَاءَ الْكِتَابَةِ
 فَلِهَذَا يَقُولُونَ عَنْكَ أَنْتَ قَدِرٌ؟
 هُءَا ، أَيْجِرْ أَوْنَ عَلَى الْقَوْلِ
 بِأَنَّ الْبَدْرَ قَلِيلٌ لِمُجَرِّدِ
 أَنْ تَلَطَّخَ وَجْهَهُ بِالْحَبِيرِ؟
 إِنَّهُمْ لِكُلِّ تَرْهَةٍ
 يَا طِفْلِي الصَّغِيرِ
 يَجِدُونَ سَبَبًا لِلضَّحْكِ مِنْكَ

على أَقْلٍ الأَخْطَاءِ
لَقَدْ مَزَقْتَ ثِيَابَكَ أَثْنَاءَ اللَّعِبِ
فَإِذَا يَقُولُونَ عَنْكَ إِنَّكَ طَائِشٌ
هَذَا هَرَاءٌ. مَا عَسَاهُمْ يَقُولُونَ
فِي صَبَاحٍ خَرِيفِي يَتَسَمُّ بَيْنَ الْغُيُومِ
الْمُتَلَبِّدَةِ؟

لَا تَهْتَمَّ يَا طِفْلِي بِمَا يَقُولُونَ
إِنَّهُمْ يُعَدِّدُونَ أَخْطَاءَكَ فِي قَائِمَةٍ طَوِيلَةٍ
وَجَمِيعَهُمْ يَعْلَمُ أَنَّ الْحَلَوِيَّاتِ تَرْوِقُ لَكَ
وَهَذَا يُسَمُّونَكَ نِهْمًا شَرِهًا؟
هَذَا هَرَاءٌ. مَاذَا عَسَاهُمْ إِذْنُ يَقُولُونَ
عَنَّا نَحْنُ الَّذِينَ نُجِئُكَ

القاضي

قُولُوا عَنْهُ مَا تَشَاءُونَ
فَأَنَا أَعْرِفُ عُيُوبَ طِفْلِي
لَا أَحِبُّهُ لِأَنَّهُ طَيِّبٌ
وَلَكِنِّي أَحِبُّهُ لِأَنَّهُ صَغِيرِي
كَيْفَ لَكُمْ أَنْ تَعْرِفُوا
مِقْدَارَ مَعْرِتِهِ
إِذَا كُنْتُمْ تَزِنُونَ مَزَايَاهُ وَعُيُوبَهُ ؟
حِينَ أَهْمُ بِمَعَاقِبَتِهِ
يُصْبِحُ قِطْعَةً مِنِّي عَلَى نَحْوِ أَكْبَرٍ
وَحِينَ أَبْكِيهِ ، يَبْكِي قَلْبِي مَعَهُ
أَنَا وَحْدِي لِي الْحَقُّ فِي لَوْمَةٍ وَعِقَابِهِ
لَأَنَّهُ لَا يَحِقُّ أَنْ يُسَلَّطَ الْعِقَابُ
إِلَّا مِنْ أَحَبٍّ ..

دُمى

مَا أَسْعَدَكَ أَيُّهَا الطُّفْلُ الصَّغِيرُ
 وَأَنْتَ جَالِسٌ فَوْقَ الثَّرَابِ
 تَلْعَبُ طَوَالَ الصَّبَاحِ بِغُصْنٍ صَغِيرٍ
 إِنِّي أَضْحَكُ مِنْ لَهْوِكَ هَذَا بِذَلِكَ
 الْغُصْنِ الْمَكْسُورِ
 أَمَا أَنَا فَمُسْتَعْرِقٌ اسْتِعْرَاقًا كَامِلًا
 فِي جَمْعِ أَرْقَامِي، سَاعَاتٍ وَسَاعَاتٍ
 رُبَّمَا رَمَقْتَنِي مُفَكِّرًا سَاحِرًا قَائِلًا فِي ذَهْنِكَ
 يَا لَهَا مِنْ لُغَبَةٍ غَبِيَّةٍ يَضِيعُ فِيهَا الصَّبَاحُ
 أَيُّهَا الطُّفْلُ، لَقَدْ نَسِيتُ فَنَّ اللَّعِبِ
 بِأَكْوَامِ الْوَحْلِ وَالْعِصِيِّ
 إِنِّي أَبْحَثُ عَنْ دُمَى غَالِيَةٍ

وَأَجْمَعُ أَكْوَماً مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ
وَأَنْتَ تَسْتَطِيعُ خَلْقَ أَلْعَابِكَ الْمُفْرِحَةِ
بِكُلِّ مَا يَقَعُ تَحْتَ يَدِكَ
أَمَّا أَنَا فَأِنِّي أَبَدُّ وَقْتِي وَقَوَايَ
فِي سَبِيلِ أَشْيَاءَ لَا أَنْجَحُ أَبَداً
فِي الْحُصُولِ عَلَيْهَا
وَأُجْهِدُ نَفْسِي وَزُورْقِي الْبِدَائِيَّ الْخَفِيفَ
لِغُبُورِ بَحْرِ الشَّهَوَاتِ
وَأُنْسَى
أَنْ زُورْقِي هُوَ الْآخِرُ
مُجَرَّدُ لُغْبَةٍ

الفلكي

قلتُ : في الليل ، حين يكون
القمرُ ، بدرًا أسيرًا بين أغصان
شجرِ الكَدَمِ ، ألا يكون في وسعِ
أحدنا أن يُمسِكَ بهِ؟
ولكن أخي الأكبر سَخَّرَ مِنِّي وقال :
أيها الطفلُ الصَّغيرُ إِنَّكَ لَغَيِّ صَغير
إن القمرَ دائِمًا بعيدٌ عَنَّا
كيف يُمكنُنَا أن نُمسِكَ بهِ؟
قلت : يالك من غَيِّ أيها الأخ الكبير
أحين تُواجهُ أُمَّنَا النَّافِذَةَ
وتنظرُ إلينا باسمَةً ونحنُ نلهوُ بالعابِثَا
هل تقولُ إنها بعيدة؟
ولكن أخي الأكبر قال : إِنَّكَ لَغَيِّ حَقًّا

أَيْنَ يُمَكِّنُكَ أَنْ تَجِدَ شَبَكَةً كَبِيرَةً
تُمْسِكُ بِهَا الْقَمَرَ؟
قلتُ : يُمَكِّنُ أَنْ أُمْسِكَ بِيَدَيَّ
ولكن أخي الأكبر ضحك وقال :
إِنَّكَ أَغْبَى طِفْلٍ عَرَفْتُهُ
لو دنا منا القمرُ
لَرَأَيْتَ مِقْدَارَ ضَخَامَتِهِ
قلتُ : أَيُّهَا الْأَخُ الْأكْبَرُ آيَةُ حَقَائِقٍ
يُعَلِّمُونَكَ فِي الْمَدْرَسَةِ
حِينَ تَنْحَنِي أُمُّنَا لِتَقْبِيلِنَا
أَيُّدُوكَ أَنْ وَجْهَهَا كَبِيرٌ؟
ولكن أخي الأكبر كرر القولُ :
إِنَّكَ حَقًّا لَطِفٌ غَبِيٌّ...

غيوم وأمواج

يا أمّاه

إِنْ سُكَّانَ الْغُيُومِ يَدْعُونَنِي لِلذَّهَابِ مَعَهُمْ

سَنَلْعَبُ وَنَلْهُو مِنْ الصَّبَاحِ حَتَّى الْمَسَاءِ

سَنَلْهُو مَعَ الْفَجْرِ الذَّهَبِيِّ

وَنَلْهُو مَعَ الْقَمَرِ الْفِضِّيِّ

وَسَأَلْتُ

كَيْفَ يُمْكِنُنِي الصُّعُودُ لِلْعِبِّ مَعَكُمْ؟

تَعَالِ حَيْثُ نِهَآيَةُ الْأَرْضِ

وَابْسُطْ يَدَيْكَ نَحْوَ السَّمَاءِ

وَسَيَكُونُ فِي وَسْعِكَ الصُّعُودُ إِلَى الْغُيُومِ .

إِنْ أُمِّي فِي انْتِظَارِي فِي الْبَيْتِ

كَيْفَ يُمَكِّنُنِي تَرْكُهَا وَالْحُضُورُ إِلَيْكُمْ .
 وَحِينَئِذٍ ضَحِكُوا مِنِّي وَ وَلَوْ مُسْرِعِينَ
 يَا أُمَّاهُ ، إِنِّي أَعْرِفُ لَعِبَةً أَجْمَلَ
 أَكُونُ فِيهَا أَنَا الْغُيُومَ
 وَتَكُونِينَ أَنْتِ الْقَمَرَ
 وَسَأَعْطِيكِ بِكُلِّ يَدَيَّ
 وَسَقْفُنَا سَيَكُونُ السَّمَاءُ
 أَوْلَئِكَ الَّذِينَ يَسْكُنُونَ الْأَمْوَاجَ
 يَدْعُونَنِي لِلذَّهَابِ مَعَهُمْ
 سَتَلْعَبُ مِنَ الصَّبَاحِ حَتَّى الْمَسَاءِ
 وَسَتَرْحَلُ دُونَ أَنْ نَدْرِي إِلَى أَيْنَ
 وَأَسْأَلُ

كَيْفَ يُمْكِنُنِي أَنْ أَنْضَمَّ إِلَيْكُمْ وَالْعَبَّ مَعَكُمْ
 تَعَالِ إِلَى حَافَةِ الشَّاطِئِ
 وَالْبَثُ هُنَاكَ بِعَيْنَيْنِ مُغْمَضَتَيْنِ

وَسَتَحْمِلُكَ الْأَمْوَاجُ
إِنْ أُمِّي تُصَيِّرُ عَلَيَّ وَجُودِي فِي الْبَيْتِ مَسَاءً
فَكَيْفَ يُمَكِّنُنِي تَرْكُهَا وَالْحُضُورُ إِلَيْكُمْ
فَابْتَسِمُوا، وَرَقِّصُوا، وَأَنْصَرِفُوا عَنِّي
وَلَكِنِّي أَعْرِفُ لُعْبَةً أَحْسَنَ
أَنْ أَكُونَ أَنَا الْأَمْوَاجُ
وَأَنْتِ الشَّاطِئُ الْغَرِيبَ
وَأَجْمَعَ نَفْسِي فِي انْدِفَاعَةٍ طَوِيلَةٍ
ثُمَّ أَنْكَسِرُ قِطْعاً فَوْقَ نَهْدِكَ
ضَاحِكاً
وَلَا أَحَدَ فِي الْكَوْنِ
يَدْرِي مَكَانَكَ وَمَكَانِي

* * *

زهرة الشامبا

لِنَفْرِضْ ، عَلَى سَبِيلِ الْعَبَثِ ، أَنِّي أَصِيرُ
 زهرة شامبا
 تَنْمُو فَوْقَ الْغُصْنِ ، وَتَهْتَزُّ ضاحِكَةً لِلرَّيحِ
 وَتَرْقُصَ فَوْقَ الْأَوْرَاقِ النَّضِيرَةِ الْغَضَّةِ
 فهل ستعرفيني يا أمّاهُ ؟
 وتناديني : أيها الطفلُ ، أينَ أنتَ ؟
 وأنا أضحكُ من هذا النداءِ بَنِيَّ وَبَيْنَ نَفْسِي
 وأظلُّ مُلَازِمًا الصَّمْتَ
 وافتحُ أفوافَ زَهْرَتِي بِسُرْعَةٍ
 وَالْأَحْظَكِ وَأَنْتَ مُنْصَرِفَةٌ إِلَى الْعَمَلِ .
 وَعِنْدَمَا تَفْرَغِينَ مِنْ حَمَامِكَ
 وَبِشَعْرِكَ الْمُبَلَّلِ الْمُنْسَرَحِ فَوْقَ الْكَتِفَيْنِ
 تمرين تحتَ ظِلِّ شَجَرَةِ الشَّامْبَا

متوجهة الى الساحة الصغيرة
 حيثُ ترتلين صلواتك
 ملاحظَةً عِطر الزَّهْرَة
 دُونَ أَنْ تَعْرِفِي أَنَّهُ يَضُوعُ مِنِّي
 وَحِينَ تَجْلِسِينَ بَعْدَ الْغَدَاءِ إِلَى النَّافِذَةِ
 تَقْرَأِينَ (الرَّمَايَاتِ)
 وَالشَّجَرَةُ تُلْقِي ظِلَّالَهَا فَوْقَ غَدَائِرِكَ
 وَأَلْقِي أَنَا بِظِلِّي الصَّغِيرَ فَوْقَ حِضْنِكَ
 وَعَلَى الصَّفْحَةِ الَّتِي تَقْرَأِينَهَا مِنَ الْكِتَابِ
 فَهَلْ سَتَتَصَوِّرِينَ أَنَّهُ الظِّلُّ الضَّئِيلُ
 لَطِيفُكَ الصَّغِيرِ ؟
 وَفِي الْمَسَاءِ ، حِينَ تَقْصِدِينَ الْحَظِيرَةَ
 وَتَحْمِلِينَ بِيَدِكَ الْمِصْبَاحَ الْمُضِيءَ
 سَأَقْفُزُ فُجْأَةً إِلَى الْأَرْضِ
 وَأَصْبِحُ طِيفُكَ مِنْ جَدِيدٍ
 وَأَطْلُبُ مِنْكَ أَنْ تَقْصِيَ لِي قِصَّةً

وَتَسْأَلِينَ أَيْنَ كُنْتُ أَيُّهَا الطَّائِشُ الصَّغِيرُ؟
أَفْضَلُ أَنْ لَا أُخْبِرَكَ بِشَيْءٍ يَا أُمَّاهُ
فَمَا أَكْثَرَ مَا سَوْفَ نَتَحَدَّثُ عَنْ هَذَا وَذَاكَ...

البلد المسحور

لو عرفَ النَّاسُ مكانَ قَصْرِي
 لتَلاشَى في الفُضاءِ
 فَجَدْرَانَهُ من فَضَّةٍ
 وسُقُوفَهُ من ذَهَبٍ
 وتَقِمُ المَلِكَةُ في قَصرِ لِه سَبْعَ أَفْنِيَةٍ .
 وتَتَحَلَّى بِجَوْهَرَةٍ تُساوِي قِيَمَتُهَا
 سَبْعَ مَمَالِكٍ .
 إِنِّي أُخْبِرُكَ هَمْسًا يَا أُمَّاهُ ،
 بِمَوْقِعِ قَصْرِي المَلِكِي ؟
 إِنَّهُ في زَاوِيَةٍ من سَطْحِ بَيْتِنَا
 حَيْثُ زَهْرِيَّةُ التُّولُوسِي .
 وَالْأَمِيرَةُ تَضْجَعُ نَائِمَةً
 فَوْقَ الشَّاطِئِ القَصْبِيِّ لِلْبَحَارِ السَّبْعَةِ

التي لا يُمْكِنُ لِأَحَدٍ أَنْ يَمْخُرها
 ولا أحد في الكون يُمْكِنُهُ أَنْ يَعُثرَ عَلَيْهَا سِوَايَ .
 لَدَيْهَا أُسُورَةٌ وَأَقْرَاطٌ مِنْ لَآلِيءٍ
 وَغَدَائِرُهَا تَنْسَابُ حَتَّى قَدَمَيْهَا
 وَهِيَ تَسْتَقِظُ بِمُجَرَّدِ أَنْ أَلْمَسَهَا
 بِعَصَايَا السُّحْرِيَّةِ
 وَتَتَنَاثَرُ الْجَوَاهِرُ مِنْ فَمِهَا حِينَ تَبْسِمُ لِي
 إِنِّي أَفْضِي إِلَيْكَ هَمْسًا يَا أُمَامَهُ بِمَكَانِهَا
 إِنَّهَا فِي زَاوِيَةٍ مِنْ سَطْحِ بَيْتِنَا
 حَيْثُ زَهْرِيَّةُ التُّوَلْسِيِّ
 لَتَضْعُدِي إِلَى هَذَا السَّطْحِ
 حِينَ تَحِينُ سَاعَةُ ذَهَابِكَ إِلَى النَّهْرِ
 لِلِاسْتِحْمَامِ
 فَسَتَجِدُنِي جَالِسًا فِي زَاوِيَةٍ مِنْهُ
 حَيْثُ تَتَلَاشَى ظِلَالُ الْجُدُرَانِ
 وَالْهَرَّةُ وَحَدَهَا هِيَ الَّتِي أَسْمَحُ لَهَا بِمُصَاحَبَتِي

لأنَّهَا تُعْرِفُ أَيْنَ يَعِيشُ
حَلَّاقُ الْخُرَافَةِ
إِنِّي أَخْبِرُكَ يَا أُمَّاهُ ، أَيْنَ يَعِيشُ
حَلَّاقُ الْخُرَافَةِ
فِي زَاوِيَةٍ مِنْ سَطْحِ بَيْتِنَا ،
حَيْثُ زَهْرِيَّةُ التُّولْسِي .

أرض المنفى

يا أُمّاه
 لقد شَحَبَ النُّورُ في السَّمَاءِ
 ولا أُعْرِفُ ما هي السَّاعَةُ
 ولقد خَلَّتْ لُغَيْتِي من المُتَعَةِ
 فَجِئْتُ إِلَيْكَ
 إنه السَّبْتُ ، يَوْمُ عِيدِنَا
 يا أُمّاه ، كُفِّي عن العَمَلِ
 واجلِسي إلى النافِذةِ
 وقُصِّي عَلَيَّ أين تُوجَدُ صَحْرَاءُ تَبْتَلُّارِ
 إن ظِلَّ المَطَرِ
 قد غَطَّى النَّهَارَ كُلَّهُ
 والبرقُ يُمَزِّقُ السَّمَاءَ بِمَخَالِيهِ الوَحْشِيَّةِ
 وعندما تَدْمَدِمُ الغُيُومُ وترْعَدُ

فَإِنَّهُ يَرُوقُ لِي الْارْتِجَافُ خَوْفًا
 وَالتَّعَلُّقُ بِصَدْرِكَ بِقُوَّةٍ
 وَعِنْدَمَا يَسْقُطُ الْمَطَرُ بِغَزَارَةٍ
 فَوْقَ أَوْرَاقِ الْبَابِ
 وَتَرْتَجِفُ النُّوْافِدُ وَتَرْتَعِشُ
 تَحْتَ عَصْفِ الرِّيحِ
 يَرُوقُ لِي أَنْ أَجْلِسَ إِلَيْكَ ، وَالْبَقَاءُ مَعَكَ
 وَحْدِي ، وَأُصْغِي إِلَيْكَ تَتَحَدَّثِينَ
 عَنْ صَحْرَاءَ تَبْتَارِ الْخُرَافَةِ
 تُرَى أَيْنَ هِيَ يَا أُمَّاهُ
 عَلَى شَوَاطِئِ أَيِّ بَحْرٍ؟
 وَفِي سُفُوحِ أَيِّ الْهَضَابِ؟
 وَفِي مَمَالِكِ أَيِّ مَلِكٍ؟
 هُنَاكَ لَا تُوجَدُ الْأَسْبِجَةُ
 لِتَمْيِيزِ الْحُقُولِ
 وَلَيْسَ هُنَاكَ دَرْبٌ يَعُودُ السُّكَّانَ عِبرَهُ

إلى قُرَاهِمَ فِي الْمَسَاءِ
 وَلَا نَسَاءَ يَجْمَعْنَ الْحَطَبَ مِنَ الْغَابِ
 وَيَحْمِلْنَهُ إِلَى السُّوقِ
 بُقْعٌ مِنَ الْعُشْبِ الْأَصْفَرِ الْمُتَنَاثِرَةِ فَوْقَ الرَّمْلِ
 وَشَجَرَةٌ وَحِيدَةٌ يُعَشِّشُ فِيهَا زَوْجَانِ
 مِنَ الطُّيُورِ الْحَكِيمَةِ
 هُنَاكَ تَمْتَدُّ صَحْرَاءُ تَبْتَتَارُ
 فِي وَسْعِي أَنْ أَتَخَيَّلَ :
 فِي يَوْمٍ غَائِمٍ مِثْلَ هَذَا الْيَوْمِ
 كَانَ ابْنُ الْمَلِكِ يَعْبُرُ
 دَرْباً رَمَادِيّاً ، مُمْتَطِياً صَهْوَةً جَوَادِهِ
 يَجْتَازُ بِهِ الصَّحْرَاءَ وَحْدَهُ
 بَحْثًا عَنِ الْأَمِيرَةِ
 الْأَسِيرَةِ فِي قَصْرِ الْمَارِدِ الْعِمْلَاقِ
 فِيمَا وَرَاءَ الْبَحْرِ الْمَعْرُوفِ
 وَعِنْدَمَا تَهْبُطُ ظِلْمَةُ الْمَطَرِ

من السماء البعيدة
 ويخرجُ البرقُ فجأةً السماء
 كوخزةِ الألمِ الحادِّ الخاطفِ
 أترأهُ يُفكِّرُ في أمِّه البائسةِ
 التي هجرها الملكُ ، وحكمَ عليها
 بتنظيفِ الحظيرةِ ، بينما ابنها
 يجوبُ الصَّخراءِ بجوادهِ
 انظُرِي يَا أُمَاهُ ، إِنَّهَا الظَّلَمَةُ تَقْرِيباً
 قَبْلَ أَنْ يَهْبِطَ الْمَسَاءُ
 ليسَ هناكُ مُسَافِرٌ
 في طريقِ القريةِ
 وقد عادَ الرَّاعي الصَّغِيرُ إلى بَيْتِهِ
 من المرعى ، مُبَكِّراً
 والفلاحونَ تَرَكَوا الحُقُولَ
 وجَلَسُوا أمامَ أَكْوَاجِهِمْ
 يَرْقُبُونَ الغيومَ المتوَعِّدةَ

لَقَدْ تَرَكْتُ كُلَّ كُتُبِي فَوْقَ الرَّفِّ
فَلَا تَطْلُبِي مِنِّي يَا أُمَّاهُ ، أَنْ أُؤَدِّيَ دُرُوسِي الْآنَ
فَحِينَ أَكْبَرَ وَأَصِيرُ مِثْلَ أَبِي
فَإِنِّي سَوْفَ أَتَعَلَّمُ مَا يَنْبَغِي تَعَلُّمُهُ
وَلَكِنَ الْيَوْمَ
فُصِّىَ عَلَيَّ يَا أُمَّاهُ
أَيْنَ تُوجَدُ صَحْرَاءُ تَبْتَازُ

اليوم المطير

غُيُومٌ كَثِيفَةٌ تَجْمَعُ بِسُرْعَةٍ
 عِنْدَ طَرْفِ الْغَايَةِ الْمُظْلِمِ
 يَا طِفْلِي ، لَا تَخْرُجْ ، لَا تَخْرُجْ
 إِنْ أَشْجَارَ النَّخِيلِ الْمُصْطَفَةِ
 عَلَى ضِيفَةِ الْبُحَيْرَةِ
 تَهْزُ جَرِيدَهَا فِي وَجْهِ السَّمَاءِ الْمُكَفَّهِرَةِ
 وَالْغُرَبَانُ بِأَجْنِحَتَيْهَا الْمُطَّخَعَةِ بِالْوَحْلِ
 تُلَازِمُ الصَّمْتَ فَوْقَ أَشْجَارِ تَمَرِ الْهِنْدِ
 وَالضِّفَّةُ الشَّرْقِيَّةُ مِنَ النَّهْرِ
 قَدْ دَاهَمَتْهَا ظُلْمَةٌ دَاجِيَةٌ
 وَالْبَقَرَةُ الْمَشْدُودَةُ إِلَى الْوَتْدِ الْجَافِ
 تَخُورُ خَوَارًا عَالِيَا . فَانْتَظِرْنِي
 هُنَا حَتَّى أَقُودَهَا إِلَى الْحَظِيرَةِ

إِنَّ النَّاسَ يَتَجَمَّعُونَ فِي الْحُقُولِ الْمَغْمُورَةِ بِالْمِيَاهِ
 لِيَقْبِضُوا بِأَيْدِيهِمْ عَلَى الْأَسْمَاكِ
 الْخَارِجَةِ مِنَ الْغُدْرَانِ الطَّافِحَةِ
 وَمِيَاهِ الْمَطَرِ تَجْرِي فِي جَدَاوِلِ
 عَبْرِ الدَّرُوبِ الضَّيِّقَةِ
 وَتَخْتَنِي كَطِفْلٍ مَرِحٍ يُعَابِثُ أُمَّهُ
 بِمَرَاوَعَتِهِ وَاخْتِفَائِهِ.
 اصْغُ، إِنَّ أَحَدًا يَهْتَفُ بِصَاحِبِ
 الْقَارِبِ عِنْدَ مَعَابِرِ النَّهْرِ
 يَا طِفْلِي، إِنَّ النُّورَ يَرِيدُ
 وَطَرِيقَ الْعُبُورِ مَسْدُودَةً فِي وَجْهِ الْقَارِبِ
 إِنَّهُ لَيَبْدُوا أَنَّ السَّمَاءَ تَرَكُّضَ فِي جُمُوحِ
 فَوْقَ الْمَطَرِ الْمَتَسَاوِطَةِ بِعُنْفٍ
 وَمِيَاهُ النَّهْرِ تَهْدُرُ بِصَبْرِ نَافِدٍ
 وَالنِّسَاءُ يُسْرِعْنَ الْخَطُوبَ
 عَائِدَاتٍ مِنْ نَهْرِ الْكِنجِ، بِجَرَارِهِنَّ الْمَلَأَى
 عَلَيْنَا إِعْدَادَ الْفَوَائِسِ

فلا تَخْرُجْ يا طِفْلِي ، لا تَخْرُجْ
إِنَّ طَرِيقَ السُّوقِ مَهْجُورَةٌ
وَدَرْبُ النَّهْرِ زَلَقَةٌ
وَالرَّيْحُ تَنْفَلْتُ
بَيْنَ أَغْصَانِ الْبَامْبُو وَتَعْوِي
مِثْلَ حَيَّوَانٍ وَحْشِيٍّ
وَقَعَ فِي الشَّبَكَةِ

زوارق الورق

كُلَّ يَوْمٍ
أَعَوُّمُ زَوَارِقِي الْوَرَقِيَّةِ
وَاحِدَةً بَعْدَ أُخْرَى
فِي مَجْرَى النَّهْرِ
وَأَكْتُبُ فَوْقَهَا اسْمِي
وَأَسْمَ قَرْيَتِي
بِأَحْرَفٍ سَوْدَاءَ كَبِيرَةٍ
وَالْأَمَلُ يَحْدُونِي بِأَنْ يَعْثُرَ عَلَيْهَا
بَعْضُ النَّاسِ
فِي بَعْضِ الْبُلْدَانِ الْغَرِيبَةِ
فَيَعْرِفُ مِنْ أَنَا

لِنِي أُوسِقَ زَوَارِقِي
 بِزُهورِ الشُّبُوبِي الَّتِي أَقْتَطِفُهَا مِنْ حَدِيقَتِنَا
 وَيَحْدُونِي الْأَمَلُ
 أَنْ تُنْقَلَ زُهورُ الصَّبَاحِ هَذِهِ
 إِلَى بِلَدِ النُّومِ
 لِنِي أَدْفَعْ بِزَوَارِقِي الْوَرَقِيَّةِ
 وَأَرْقُبُ فِي السَّمَاءِ سُحُبًا
 تَنْشُرُ أَشْرَعَتَهَا الْبَيْضَاءَ
 لَا أَذْري أَيَّ رَفِيقٍ مِنْ رُفَقَاءِ أَلْعَابِي
 هُنَاكَ فِي السَّمَاءِ
 يَبْعَثُ بِهَا فِي الْجَوِّ لُتْنًا فِسَ زَوَارِقِي الصَّغِيرَةِ
 وَحِينَ يَهْبِطُ اللَّيْلُ
 أَذْفِنَ رَأْسِي بَيْنَ ذِرَاعِي
 وَأَحْلُمُ بِأَنَّ زَوَارِقِي الْوَرَقِيَّةِ

تَمْخُرُ تَحْتَ النُّجُومِ
وَتَرْحَلُ فَوْقَهَا جَنِّيَاتُ النَّوْمِ
بِأَوْسَاقِهَا مِنَ السَّلَالِ الْمَلَأَى بِالْأَحْلَامِ

البحار

زَوْرَقَ الْمَلَّاحِ مَاذَ هُوَ
 رَاسِي فِي مَرَفٍ رَاجِيكُونِي
 وَهُوَ مُحَمَّلٌ بِالْقِنْبِ . دُونَ جَدَوِي
 فَقَدْ كَانَ الْقَارِبَ رَاسِيًا مَكَانَهُ مِنْذُ أَمَدٍ بَعِيدٍ
 لَوْ أَجَرَ لِي زَوْرَقَهُ
 لَجَهَّزْتُهُ بِالْمَجَادِيفِ
 وَالْأَشْرَعَةِ ، خَمْسَةَ ، سِتَّةَ أَوْ سَبْعَةَ
 وَلَنْ تَكُونَ وَجْهَتِي صَوْبَ الْأَسْوَاقِ الْمُعْتَادَةِ
 فَإِنِّي أَرْغَبُ فِي أَنْ أُجْتَازَ الْبَحَارَ السَّبْعَةَ
 وَالْأَنْهَارَ الثَّلَاثَةَ عَشَرَ ، مِنْ الْبَلَدِ الْمَسْحُورِ
 أُمَّاهُ ، لَا ... لَا تَبْكِي
 لَا تَبْكِي مِنْ أَجْلِي فِي الْخَفَاءِ
 فَلَنْ أَرْحَلَ مِثْلَ (رَامَا شَانْدِرَا)

إلى الغاب ، لأعودَ بعد أربعة عشر عاماً
سأكونُ أميرَ الأسطورةِ
وأملأُ زورقي بِكُلِّ مَا أريدُ
وسأحملُ مَعِي صَديقِي آشو
ونَجْتَازُ البَحَارَ السَّبعةَ
والأنهارَ الثلاثةَ عشرَ من البَلَدِ المَسْحُورِ
سنُبحِرُ عِنْدَ الفَجْرِ
وحينَ تَسْتَحِمِينَ في الغديرِ في مُتَصفِ النَّهَارِ
سنكونُ في بَلَدِ ملكِ أَجَنِي
وسنَعْبُرُ وادي (تيربوري)
ونَتَرَكَ . وراءنا صَحراءَ تَبْتَارُ
و حينَ نَعُودُ
يكونَ اللَّيْلُ قد خَيَّمَ
وسَأَقْصُ عَلَيْكَ
كُلَّ مَا رَأَيْنَا
ونَحْنُ نَجْتَازُ البَحَارَ .
والأنهارَ الثلاثةَ عشرَ ...

الصفة الأخرى

فِي نَفْسِي رَغْبَةٌ لِلذَّهَابِ إِلَى هُنَاكَ
 حَيْثُ ضِفَّةُ النَّهْرِ الْأُخْرَى
 حَيْثُ يَرْسُو ذَلِكَ الصَّفُّ مِنَ الْقَوَارِبِ
 الْمَشْدُودِ إِلَى أَعْوَادِ الْبَابِ
 حَيْثُ الرِّجَالُ يَخْرُجُونَ صَبَاحاً بِزَوَارِقِهِمْ
 وَقَدْ حَمَلُوا مَحَارِيثَهُمْ فَوْقَ أَكْتَافِهِمْ
 لِلْعَمَلِ بِحُقُولِهِمُ الْبَعِيدَةِ
 وَحَيْثُ الرِّعَاءُ يَدْفَعُونَ قُطْعَانَ الْبَقَرِ
 لِيَخُوضَ الْمِيَاهِ نَحْوَ الْمَرَاعِي الْخَضِرَاءِ
 الْمَتَدَّةِ عَلَى طُولِ ضِفَّةِ النَّهْرِ
 وَيَعُودُونَ مَسَاءً
 تَارِكِينَ الذَّنَابَ تَعْوِي فِي الْجَزِيرَةِ الْمَغْطَاةِ
 بِأَشْجَارِ الْأَسَلِ

يَا أُمًّا ، حِينَ أَكْبُرُ
 أُرِيدُ أَنْ أَكُونَ مَلَا حِ مِعْبَرِ
 إِذَا كَانَ هَذَا لَا يُشِيرُ ضَيْقُكَ
 يَقُولُونَ أَنْ هُنَاكَ غُدْرَانًا غَرِيبَةً
 مُحْتَفِيَةً خَلْفَ الْهَضْبَةِ
 حَيْثُ أُسْرَابُ مِنَ الْبَطِّ الْوَحْشِيِّ
 تَأْتِي عِنْدَ نِهَايَةِ الْمَطَرِ
 وَأَشْجَارُ الْأَسَلِ تَنْمُو كَثِيفَةً
 حَوْلَ فَسَائِلِ الْقَصَبِ حَيْثُ الطُّيُورُ الْمَائِيَّةُ
 تَضَعُ بِيضَهَا
 وَحَيْثُ يُخْلَفُ الدِّجَاجُ
 بِذُبُولِهِ الْمُرْتَعِشَةِ
 أَثَارَ بَرَائِثِهِ الصَّغِيرَةِ
 فَوْقَ الْوَحْلِ النَّاعِمِ النَّظِيفِ
 وَحَيْثُ ، عِنْدَ الْمَسَاءِ تَدْعُو الْأَعْشَابُ الْعَالِيَةُ
 الْمُتَزَيِّنَةُ بِزُهورِهَا الْبَيْضَاءِ
 شُعَاعَ الْفَجْرِ

لِيَسْتَرِيحَ فَوْقَ تَمُوجَاتِهَا.
 يَا أُمَاهُ ، حِينَ أَكْبُرُ أُرِيدُ أَنْ أَكُونَ مَلَا حِ مِعْبَرِ
 إِذَا كَانَ هَذَا لَا يُضَايِقُكَ
 سَاجَتَا زُ النَّهْرِ الْعَظِيمِ
 جِيئَةً وَذَهَاباً
 مِنْ ضِفَّةٍ إِلَى أُخْرَى
 وَكُلُّ الصَّبِيَّانِ وَالصَّبَابِ
 بِالْقَرْيَةِ يَنْظُرُونَ إِلَيَّ بِإِعْجَابِ
 حِينَ يَغْتَسِلُونَ فِي النَّهْرِ
 وَحِينَ تَرْتَفِعُ الشَّمْسُ إِلَى كِبِدِ السَّمَاءِ
 وَالصَّبَاحُ يَنْتَقِلُ إِلَى الضُّحَى
 سَاهِرُ إِلَيْكَ هَاتِفاً
 يَا أُمَاهُ إِنِّي جَائِعٌ
 سَاعُودَ حِينَ يَنْتَهِي النَّهَارُ
 وَيُخَيِّمُ الظِّلُّ بَيْنَ الْأَشْجَارِ
 لَنْ أَبْعَدَ عَنْكَ
 وَلَنْ أَرْحَلَ لِلْعَمَلِ بِالْمَدِينَةِ مِثْلَ أَبِي

يا أُمَّاه حِينَ أَكْبُرُ أُرِيدُ أَنْ أَكُونَ مَلَّاحَ مِعْبَرٍ
إِذَا كَانَ هَذَا لَا يُضَايِقُكَ

مدرسة الزهور

حِينَ تَتَوَجَّعُ الْغُيُومُ الْعَاصِيفَةُ
 الْقَائِمَةُ ، فِي السَّمَاءِ
 وَتَهْطُلُ أَمْطَارُ يُونِيُو بِغَزَارَةٍ
 فَإِنَّ رِيحَ الشَّرْقِ النَّدِيَّةَ
 تَرْحَفُ فَوْقَ الْأَرْضِ الْجُرْدَاءِ
 لِتَعْرِفَ أَبْوَاقَهَا بَيْنَ قَصَبِ
 شَجَرِ الْبَابُو
 حِينَئِذٍ ، تَظْهَرُ فُجَاءَةً ، وَمِنْ حَيْثُ
 لَا يَدْرِي أَحَدٌ ، حُشُودٌ مِنَ الزَّهْوَرِ
 وَتَأْخُذُ فِي الرَّقْصِ بِبَهْجَةٍ مَجْنُونَةٍ
 فَوْقَ الْأَرْضِ النَّدِيَّةِ .
 أُمَامَهُ . إِنِّي أَعْتَقِدُ حَقًّا أَنَّ الزَّهْوَرَ
 تَذْهَبُ ، إِلَى مَدْرَسَةِ فِي جَوْفِ الْأَرْضِ

وَتَلَقَّى دُرُوسَهَا وَرَاءَ أَبْوَابِ مُقْفَلَةٍ
 وَإِذَا أَرَادَتْ الْخُرُوجَ إِلَى اللَّعِبِ
 قَبْلَ الْوَقْتِ الْمُحَدَّدِ ، فَإِنَّ الْمُعَلِّمَ
 يُعَاقِبُهَا وَيُؤَنِّبُهَا
 وَهِيَ تَسْتَمْتِعُ بِعُطْلَتِهَا فِي فَصْلِ الْأَمْطَارِ .
 وَفِي الْغَابَةِ حِينَ تَتَنَاطَحُ الْأَغْصَانُ
 مَعَ الرِّيحِ الْوَحْشِيَّةِ
 وَالْأَوْرَاقُ تُرْسِلُ حَفِيفُهَا .
 وَغِيَوْمُ الرَّعْدِ تَضْرِبُ أَيْدِيهَا الْعِمْلَاقَ
 فَإِنَّ صَغَارَ الزُّهُورِ تُسْرِعُ
 إِلَى الْخُرُوجِ بِأَثْوَابِ حُمْرَاءَ وَصَفْرَاءَ وَبَيْضَاءَ
 أَتَدْرِينَ يَا أُمَّاهُ ، أَنَّ بَيْتَهَا فِي السَّمَاءِ ، حَيْثُ تَوْجَدُ النُّجُومُ
 أَلَا تَرَيْنَ قَلَقَهَا الْبَادِيَ لِلذَّهَابِ
 إِلَى هُنَاكَ ، فِي الْأَعَالِي ؟
 إِنَّكَ لَا تَعْرِفِينَ سَبَبَ هَذِهِ الْعَجَلَةِ
 إِنِّي أَسْتَطِيعُ أَنْ أُخَمِّنَ لِمَنْ تَمُدُّ

أَذْرَعَهَا ؟
إِنْ لَهَا أَيْضاً أُمٌّ مِثْلَ أُمِّي

التاجر

تَصَوَّرِي يَا أُمَّاهُ
 أَنَّ عَلَيْكَ الْبَقَاءَ فِي الْبَيْتِ
 وَإِنَّهُ يَنْبَغِي لِي السَّفَرُ إِلَى بُلْدَانِ غَرِيبَةٍ
 وَتَصَوَّرِي أَنَّ سَفِينَتِي جَاهِزَةٌ بِالْمَرْفَأِ
 فَكَّرِي جَيِّدًا ، يَا أُمَّاهُ ، قَبْلَ أَنْ تُفْضِي
 بِمَا تُرِيدِينَ أَنْ أَحْمِلَهُ إِلَيْكَ عِنْدَ عَوْدَتِي
 أُمَّاهُ ، إِنَّكَ تُرِيدِينَ أَكْوَامًا كَثِيرَةً مِنَ الذَّهَبِ
 هُنَاكَ عِنْدَ ضِيفَافِ الْأَنْهَارِ الْمُذْهَبَةِ
 تَمْتَلِئُ الْحُقُولُ بِالْحَصَادِ الذَّهَبِيِّ الصَّافِي
 وَفِي ظِلِّ الْغَابَةِ فَإِنَّ أَرْهَارَ الشَّامِبَا
 الْمُذْهَبَةِ تَسَاقُطُ فَوْقَ الْأَرْضِ

سَأَجْمَعُهَا كُلُّهَا لَكَ فِي مِثَاتِ السَّلَالِ
 أُمَاهُ، أَتَرْغَبِينَ فِي اللَّالَىءِ الْكَبِيرَةِ
 الَّتِي تُشَبِّهُ قَطَرَاتِ أَمْطَارِ الْخَرِيفِ؟
 سَأَذْهَبُ إِلَى جَزِيرَةِ اللَّالَىءِ
 فَهُنَاكَ، وَفِي نُورِ الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ
 تَرْتَجِفُ اللَّالَىءُ فَوْقَ زُهُورِ الْمَرَاعِي
 وَبَعْضُ اللَّالَىءِ الْبَرَّاقَةِ تَسْقُطُ فَوْقَ الْعُشْبِ
 وَبَعْضُهَا يَتَنَاقَرُ فَوْقَ الرَّمَالِ
 فِي زَبَدِ أَمْوَاجِ الْبَحْرِ.
 أَمَا أُخَى فَسَيَكُونُ لَهُ
 حِصَانَانِ مُجَنِّحَانِ لِلطَّيْرَانِ
 بَيْنَ الْغُيُومِ
 أَمَا أَبِي فَسَأَحْمِلُ إِلَيْهِ قَلَمًا سِحْرِيًّا
 يَكْتُبُ مِنْ تِلْقَاءِ ذَاتِهِ

وإليكِ يا أُمّاهِ سَوَفَ أَحْمِلُ عُلْبَةَ مُجَوَهَرَاتِ
وفِيهَا الْجَوْهَرَةُ الَّتِي تُسَاوِي سَبْعَ
مَمَالِكِ

مشاركة

لو كنتُ مجردَ جرّو صَغِير

ولست ابْنَك

يا أُمّاه

هل تنهرينني وترفضين أن آكلَ

في صِحنِكَ الصَّغِيرِ؟

وتطردينني قَائِلَةً :

لِتَبْعُدْ، أيها الجرّو الصَّغِيرِ؟

إذا فعلتِ ذَلِكَ يَا أُمّاه

فَلنَّ أَسْتَجِيبَ إِلَيْكَ

حين تدعينني

ولن أسمعَ لَكَ أبداً

بأن تُقدّمي إليَّ أيَّ طعام

لو كنت بَبْغَاءَ أَحْضَرَ اللُّونِ

ولست ابْنُكَ

يا أُمّاهُ العَزِيزَةُ

فهل تُقَيِّدِينِي

خَوْفًا مِنْ أَنْ أَطِيرَ بَعِيدًا

وَتُهَيِّدِينِي بِأَصْبَعِكَ

قَائِلَةً : أَيُّهَا الطَّائِرُ الْجَحُودُ

عَضُّ قَيْدِكَ لَيْلًا وَنَهَارًا

إِذَنْ ، لِيَتَذَهَبِي بَعِيدًا يَا أُمّاهُ

إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَخْتَفِي فِي الْعَابَاتِ

وَلَنْ أَسْمَحَ لَكَ أَبَدًا

بَأَنْ تَضُمِّنِي بَيْنَ ذُرَاعَيْكَ

* * *

متفوق

يا أُمّاهُ ، إن ابنتك غَيَّيَّةٌ صَغِيرَةٌ
وَعَلَى دَرَجَةِ بِالْغَةِ مِنَ السَّدَاجَةِ الطُّفُولِيَّةِ
فَهِيَ لَا تَعْرِفُ الْفَرْقَ
بَيْنَ النُّجُومِ ، وَأَضْوَاءِ الشُّوَارِعِ
فَإِذَا تَظَاهَرْنَا بِأَكْلِ الْحَصَى عِنْدَ اللَّعِبِ
فَأَنهَا تَنْظُنُّ حَقًّا أَنَّهَا تُؤْكَلُ
وَتُحَاوَلُ أَنْ تَدْفَعَ بِهَا إِلَى فَمِهَا
وَإِذَا فَتَحْتَ أُمَامَهَا كِتَابًا
وَطَلَبْتَ مِنْهَا أَنْ تَقْرَأَ حُرُوفَ الْهِجَاءِ
فَأَنهَا تُمَزِّقُ الصَّفَحَاتِ بِيَدَيْهَا
وَتَصِيحُ فَرَحًا بِلَا مُبَرِّرٍ
وَهَذِهِ هِيَ الطَّرِيقَةُ الَّتِي تَقُومُ بِهَا طِفْلَتُكَ
فِي تَلْقَى دُرُوسَهَا فِي الْقِرَاءَةِ

فَإِذَا صَرَخَتْ فِيهَا وَقُلْتُ لَهَا شَرِيرَةٌ
 فَإِنَّهَا تَضْحَكُ ، وَتَظُنُّهَا فَكَاهَةً
 وَكَلَّمْنَا نَعْرِفُ أَنْ أَبِي غَائِبٌ عَنَّا
 فَإِذَا هَتَفَتْ (يَا أَبَا) لَعِبَاءٌ وَلَهَوَاءٌ
 فَإِنَّهَا تَلْتَفِتُ حَوْلَهَا مُتَأَثِّرَةً
 وَتَظُنُّ أَنْ أَبَاهَا وَقَفَ بِالْقُرْبِ مِنْهَا
 وَحِينَئِذٍ أَلْقَنَ حَمِيرَ الْغَسَّالِ
 الْمُحْمَلَةَ بِالْمَلَابِسِ ، دُرُوساً
 وَأَقُولُ لَهَا إِنِّي أَنَا الْمُعَلِّمُ
 فَإِنَّهَا تَصْرُخُ بِلا سَبَبٍ
 وَتَدْعُونِي دَادَا
 أَنْ ابْنُتِكِ تُرِيدُ أَنْ تُمْسِكَ الْقَمَرَ
 وَهِيَ سَخِيفَةٌ وَتَدْعُو غَانِسَ ، غَنُوسَ
 أُمَّاهُ إِنْ ابْنُتِكِ غَبِيَّةٌ صَغِيرَةٌ .
 وَ عَلَى دَرَجَةٍ كَبِيرَةٍ مِنْ سَدَاجَةِ الطُّفُولَةِ .

الرجل الصغير الكبير

أنا صغيرٌ لأنني طفلٌ
ولكني سأصيرُ كبيراً مثلَ أبي
وسَيأتي مُعَلِّمي ليقُولَ لي .
لقد جِئتُ متأخراً ، خُذْ كُتُبَكَ وانصَرِفْ
فَأَقُولُ له ألا تدري بأنني كبيرٌ
وأنه لا يجبُ عليَّ بعدَ اليومِ أن أَتَلَقَّى الدُّروسَ
وسَيَقُولُ مُعَلِّمي في دهشةٍ واستغرابٍ
يُمْكِنُكَ أن تَتْرَكَ كُتُبَكَ إذا أَرَدْتَ
لأنَّكَ صِرْتَ كبيراً
وسأرتدي ملابسي وأتوجَّهُ إلى السوقِ
حيثُ أَكْثَرُ الأُمَكِنَةِ إزدحاماً بالنَّاسِ
وسيسرُّعُ الحَالُ ليقُولَ لي :
سَتَضِيعُ ، يا طِفْلي ، دَعْنِي أُمْسِكُ يَدَكَ

وسأجيبه ، ألا ترى يا خال
 أنني صرتُ كبيراً مثل أبي
 فعلي إذن أن أذهب إلى السوق وحدي
 وسيقول الخال وهو يحدق فيَّ
 يُمكنك أن تذهب حيث شئتَ
 لأنك صرتَ كبيراً
 وستخرجُ أمي من حماها
 حين أقدمُ إلى المربية نقوداً
 لأني أعرف كيف أفتح حُصالة النقودِ
 بمفتاحي
 وستقول أمي عندئذٍ
 ماذا تفعلُ أيها الشيطانُ الصغيرُ
 وأقولُ لها (أيا أمّاه ، لتعرفي
 أنني صرتُ كبيراً مثلَ والدي
 وعليَّ أن أقدمَ النقودَ الفضيّةَ
 إلى المربيةِ

وَتَقُولُ أُمِّي لِنَفْسِهَا .
 يُمَكِّنُكَ أَنْ تُعْطِيَ نَقوداً لِمَنْ تَشَاءُ
 لِأَنَّكَ صِرْتَ كَبِيراً
 وَفِي إِجَازَاتِ أَكْتُوبِر
 سَيَّأَتِي وَالِدِي إِلَى الْبَيْتِ
 وَيُظَنُّ أَنَّي مَازَلْتُ صَغِيراً
 وَسَيَّحْمِلُ أَبِي مِنَ الْمَدِينَةِ
 أَحْذِيَةَ صَغِيرَةٍ وَمَلَابِسَ حَرِيرِيَّةَ صَغِيرَةٍ
 فَأَقُولُ لَهُ (يَا أَبِي
 إِعْطِهَا لِأَخِي الْأَكْبَرِ
 لِأَنِّي صِرْتُ كَبِيراً مِثْلَكَ
 وَسَيَّفَكُرُ وَالِدِي فِي الْأَمْرِ ثُمَّ يَقُولُ :
 يُمَكِّنُكَ أَنْ تَشْتَرِيَ مَلَابِسَكَ
 إِذَا شِئْتَ ، لِأَنَّكَ صِرْتَ
 كَبِيراً .

الساعة الثانية عشرة

أُمَاهُ ، أُرِيدُ أَنْ أُكْفَّ عَنْ الدِّرَاسَةِ
لَقَدْ دَرَسْتُ طَوَالَ الصَّبَاحِ
إِنَّكَ تَقُولِينَ إِنَّهَا الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ
فَلْيَفْرِضْ أَنْ الْوَقْتَ غَيْرُ مُتَأَخَّرٍ
أَتُظَنُّ أَنَّهُ الْمَسَاءُ ، فِيمَا هِيَ

الثانية عشرة

يُمْكِنُنِي أَنْ أَتَصَوَّرَ بَيْسَرَ
أَنْ الشَّمْسُ قَدْ بَلَغَتْ
حَافَةَ حَقْلِ الْأُرْزِ
وَأَنْ صَائِدَةَ السَّمَكِ الْعَجُوزِ
تَجْمَعُ الْعُشْبَ لِطَبْخِ الْعِشَاءِ
قُرْبَ ضِفَّةِ الْغَدِيرِ
يُمْكِنُنِي أَنْ أُغْمِضَ عَيْنِي

وَأُفَكِّرُ فِي أَنْ الظَّلَالِ قَدْ أَصْبَحَتْ
تَتَكَثَّفُ تَحْتَ شَجَرِ الْمَدَرِ
وَمِيَاهُ الْغَدِيرِ
تَبْدُو نُقْطَةً سَوْدَاءَ لَامِعَةٍ
لَوْ أُمَكَّنَ لِلثَّانِيَةِ عَشْرَةَ أَنْ تَأْتِي
لَيْلًا..
لِمَاذَا لَا يَأْتِي اللَّيْلُ فِي الثَّانِيَةِ عَشْرَةَ

حِرْفَةُ الْكَاتِبِ

تَقُولِينَ أَنَّ أَبِي يَكْتُبُ أَكْذَاساً مِنَ الْكُتُبِ
 وَلَكِنِّي لَا أَعْرِفُ مَا يَكْتُبُهُ
 لَقَدْ قُلْتُ لَكَ طَوَالَ الْمَسَاءِ
 وَلَكِنْ هَلْ أُمَكَّنَكَ حَقّاً أَنْ تَفْهَمِي شَيْئاً
 مِمَّا يَرِيدُ أَنْ يَقُولَ؟
 يَا لَهَا مِنْ قِصَصٍ رَائِعَةٍ تِلْكَ الَّتِي تَرْوِينَهَا
 يَا أُمِّاهُ
 لِإِذَا لَا يَكْتُبُ أَبِي مِثْلَهَا
 أَلَمْ يَسْمَعْ أَبَداً مِنْ أُمِّهِ قِصَصَ الْعَمَالِقَةِ
 وَالْحُورِيَّاتِ وَالْأَمِيرَاتِ؟
 أَمْ نَسِيَها كُلَّهَا؟
 غَالِباً ، حِينَ يَتَأَخَّرُ عَنِ الْأَسْتِحْصَامِ
 أَرَأَيْكَ تُنَادِيهِ مِثَّةَ مَرَّةٍ

وَتَظْلِينَ فِي انْتِظَارِهِ ، وَتُمْسِكِينَ
بِأَوْعِيَةِ الْمَاءِ السَّاحِنِ
وَلَكِنَّهُ يَسْتَمِرُّ فِي الْكِتَابَةِ
ثُمَّ يَنْسِيَ الْاسْتِحْمامَ

ساعي البريد الشرير

لِمَاذَا تَجْلِسِينَ فَوْقَ الْبِلَاطِ
 هَادِئَةً ، سَاكِتَةً ، يَا أُمَّاهُ ؟
 وَالْمَطَرُ يَنْفُذُ مِنَ النَّافِذَةِ الْمَفْتُوحَةِ
 فَيَبِلِّلُكَ ، دُونَ أَنْ تَكْتَرِثِي بِذَلِكَ
 أَلا تَسْمَعِينَ دَقَّاتِ السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ ؟
 إِنَّهَا السَّاعَةُ الَّتِي يَعُودُ فِيهَا أَخِي مِنَ الْمَدْرَسَةِ
 مَا الَّذِي حَدَثَ لَكَ . وَلِمَاذَا أَنْتِ
 غَرِيبَةٌ الْأَطْوَارِ
 أَلَمْ يَكْتُبْ لَكَ أَبِي الْيَوْمَ رِسَالَةً ؟
 لَقَدْ رَأَيْتُ سَاعِي الْبَرِيدِ يَحْمِلُ
 فِي حَقِيئَتِهِ رِسَائِلَ لِأَغْلَبِ سُكَّانِ الْبَلَدَةِ
 وَلَكِنْ رِسَائِلَ أَبِي يَبْدُو أَنَّهُ يَحْتَفِظُ بِهَا لِنَفْسِهِ
 إِنِّي لَعَلِّي يَقِينُ بَأَنَّ هَذَا السَّاعِي رَجُلٌ

سَيِّءٌ

ولكن لا تخزني لذلك ، يا أمّاه
 غدا هو يوم السوق ، في القرية
 فأبعثي الخادمة لكي تشتري ورقاً وقلماً
 فسوف أكتبُ لك ، أنا. رسائل أبي
 ولن تجدي خطأً واحداً فيها
 سأكتبها كلها من الألف الى الياء
 ولكن لِمَ تتسمين؟ يا أميمة.
 ألا تُصدّقني ، أنني قادرٌ على أن أكتبَ كتابةً جيّدةً
 كما يفعلُ أبي؟
 سوف أسطرّ الورق تسطيراً دقيقاً
 وأكتبُ كلَّ الكلمات بحروفٍ كبيرةٍ جميلةٍ
 وحين أنهي رسالتي الصغيرة
 فلا تُفكّرني في أنني سأكونُ من الغباء
 بحيث أودعها ، كما يفعلُ أبي
 تلك الحقيبة المُفرّعة

التي يَحْمِلُهَا سَاعِي الْبَرِيدِ
سَأَحْمِلُهَا إِلَيْكَ بِنَفْسِي دُونَ تَبَاطُؤٍ
وَأَقْرَأُهَا لَكَ كَلِمَةً ، كَلِمَةً
إِنِّي أَعْرِفُ أَنَّ السَّاعِي لَا يَحِبُّ
أَنْ يَحْمِلَ إِلَيْكَ الرِّسَائِلَ الْجَمِيلَةَ
حَقًّا

الطل

يَا أُمّاه ، لِنَتَصَوَّرْ أَنَّنَا نَتَأَهَّبُ لِلرَّحِيلِ
 إِلَى بِلَدٍ مَجْهُولٍ غَرِيبٍ مَحْفُوفٍ بِالْمَخَاطِرِ وَالْأَهْوَالِ
 أَنْتَ رَاحِلَةٌ فَوْقَ هَوْدَجِكَ
 وَأَنَا أَرْكُضُ فَوْقَ مُهْرِي الْأَحْمَرِ إِلَى جَوَارِكِ
 وَالْوَقْتُ مَسَاءٌ ، وَالشَّمْسُ تَمِيلُ لِلْغُرُوبِ
 وَمَرُوجِ (جَوَارِدِي) رَمَادِيَّةٌ وَاهِيَّةٌ
 وَالْأَرْضُ جَافَةٌ وَمَوْحِشَةٌ
 وَأَنْتِ قَدْ شَعُرْتَ بِالْخَوْفِ ، وَأَخَذْتَ فِي التَّفْكِيرِ وَالسُّؤَالِ
 لَا أَدْرِي إِلَى أَيْنَ وَصَلْنَا ؟
 فَأُجِيبُكَ يَا أُمّاهُ لَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي .
 وَالسَّهْلُ مُغَطَّى بِالْأَعْشَابِ الْوَاحِزَةِ
 وَالطَّرِيقُ ضَبِيقَةٌ وَمُنْعَزَلَةٌ
 وَلَا تَشَاهِدُ الْقُطْعَانَ فِي الْحُقُولِ

فقد عادت كُلُّهَا إلى حظائِرها
 والظُّلْمَةُ تَسُودُ الْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ
 وَنَحْنُ لَا نَدْرِي وَجْهَتَنَا عَلَى التَّحْدِيدِ
 وَفَجْأَةً تَهْتَفِينَ بِي ، وَتَسْأَلِينِي هَمْساً
 أَيُّ نُورٍ هَذَا الَّذِي يَتَلَأَلُ هُنَاكَ
 قُرْبَ الْهَضْبَةِ؟
 وَحِينَئِذٍ يُسْمَعُ صُرَاخٌ مُخِيفٌ
 وَبَعْضُ الشُّخُوصِ تَهَبُّ مُسْرِعَةً نَحْوَنَا
 وَأَنْتِ جَالِسَةٌ فَوْقَ هَوْدَجِكَ
 وَتَصِلِينَ مُرَدَّةَ جَمِيعِ أَسْمَاءِ الْآلِهَةِ
 وَيَرْتَجِفُ الْحَمَّالُونَ مِنَ الْخَوْفِ
 وَيُخْتَفُونَ بَيْنَ الْأَدْغَالِ الشَّاكِكَةِ
 وَأَصْرُخُ فَيَثُ أُمَامَهُ لَا تَخَافِي .. إِنِّي هُنَا
 وَسَأُدْفَعُ عَنْكَ
 وَبِأَيْدِيهِمْ عَصِيٌّ طَوِيلَةٌ
 وَشَعُورٌ مَنُفُوشَةٌ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ
 يَقْتَرِبُونَ مِنَّا

فَأَصْرِيخُ فِيهِمْ ، احْتَرِسُوا أَيُّهَا الْأَنْدَالُ
 فَإِذَا تَقَدَّمْتُمْ خُطْوَةً أُخْرَى
 فَسَيَكُونُ مَصِيرَكُمْ الْمَوْتُ
 وَيُرْسِلُونَ صَرْخَةً أُخْرَى
 وَيَنْدَفِعُونَ إِلَى الْأَمَامِ
 وَتُمْسِكِينَ أَنْتَ بِيَدِي
 يَا طِفْلِي الْعَزِيزُ ، أَسْأَلُكَ بِحَقِّ
 السَّمَاءِ أَنْ نَبْتَغِدَ عَنْهُمْ
 وَأَقُولُ لَكَ يَا أُمَّاهُ (... رَاقِي
 مَا أَفْعَلُ)
 ثُمَّ أَدْفَعُ جَوَادِي فِي رَكْضَةِ جَمُوحٍ
 وَالسَّيْفُ وَالتَّرْسُ يُقَعِّقَانِ
 وَالْمَعْرَكَةُ رَهِيبةٌ جَدًّا
 قَدْ تَبَعْتُ فِي أَطْرَافِكَ الْإِرْتِعَاشَاتِ الْبَارِدَةَ
 لَوْ رَأَيْتَهَا مِنْ فَوْقَ
 وَيَهْرَبُ الْكَثِيرُ مِنْهُمْ

وَيُضْحِي بَعْضُهُمْ أَشْلَاءَ مَمْرَقَةٍ
 وَأَعْرِفُ أَنَّكَ تُفَكِّرِينَ وَأَنْتِ
 جَالِسَةٌ مُنْفَرِدَةٌ ، أَنْ ابْنَكَ
 قَدْ قُضِيَ عَلَيْهِ
 وَلَكِنِّي أَجِيتُكَ ، مُخَضَّبًا بِالِدِّمَاءِ
 وَأَقُولُ لَكَ يَا أُمَامُ ، لَقَدْ انْتَهتِ الْمَعْرَكَةُ
 فَتَخْرِجِينَ إِلَيَّ وَتَقْبَلِينَني وَتَضَمِّينِي
 إِلَى قَلْبِكَ
 وَتَقُولِينَ وَأَنْتِ تَتَحَدَّثِينَ إِلَى نَفْسِكَ
 لَا أَدْرِي مَا كَانَ يُمَكِّنُنِي أَنْ أَفْعَلَ
 لَوْ لَمْ يَكُنْ لِي ابْنٌ يَحْرُسُنِي
 فِي كُلِّ يَوْمٍ تَقَعُ آلَافُ الْحَوَادِثِ
 الَّتِي لَا جَدْوَى مِنْهَا .
 لِمَاذَا لَا يُصْبِحُ مِثْلَ هَذَا الْخَيَالِ حَقِيقَةً ؟
 سَتَكُونُ مِثْلَ أَقَاصِيصِ الْكُتُبِ
 وَيَقُولُ أَخِي ... أَهَذَا مُمَكِّنٌ ؟

كنتَ أظنّكَ ضعيفاً .
وفي القرية يقولُ الجميعُ في دهشةٍ
أليس من حُسْنِ الحَظِّ
(أنَ الطفلَ كَانَ معَ أمِّهِ)

النهاية

لقد حانت ساعة الرحيل ، يا أمّاهُ .
 وإني أتأهبُّ للرحيل
 وعند الظلمة التي تشبُّ عند الفجرِ الوليدِ
 تمدّين ذراعكِ في الفراشِ
 بحثاً عن طفلك الصغيرِ
 فسوف أقولُ لكَ
 أن الطفلَ غيرَ موجودٍ ، يا أمّاهُ
 وإني أتأهبُّ للرحيلِ
 سأصيرُ تياراً واهناً من الهواءِ
 وسأداعِبُكَ
 وسأصبحُ موجاتٍ صغيرةٍ في الماءِ
 وحينَ تستجمين فيه
 فسوف أقبلكَ وأعاودُ التّقبيلَ

وفي ليالي العاصِفةِ
 حينَ تَسْقُطُ الأمطارُ فوقَ الأوراقِ
 ستَصْغينَ إلى هامِساً في سرِّيرِكِ
 وبريقُ ضحكِتي
 سيدخُلُ في غُرْفَتِكَ معَ أضواءِ البرقِ
 عبْرَ النَّافِذةِ المفتوحةِ
 وإذا سَهرتِ إلى سَاعَةٍ مُتَأخِّرةٍ من الليلِ
 مُفَكِّرةٌ في طِفْلِكَ
 فسوفَ أغنيكِ من فوقِ النُّجومِ
 ترنيمَةً ... نامي يا أُميمةُ
 وسأحُطُ خِلْسَةً فوقَ سرِّيرِكِ
 معَ أشعَّةِ القَمَرِ الشَّارِدَةِ
 وسأستريحُ في أحضانِكَ
 بينمَا أنتِ مُستغرِقةٌ في النومِ
 سأصبحُ حُلماً ، وأتسلَّلُ إلى أعماقِ نومِكَ
 عبْرَ أجفَانِكَ
 وحينَ تَستيقظينَ

وَتَتَفَقَّدِينَ مَا حَوْلَكُمْ
خَائِفَةً مُرْتَجِفَةً
فَلَمَّا أَحَلَّقْتُ هَارِباً فِي الظَّلَامِ
مِثْلَ الْحُبَّاحِبِ الصَّغِيرِ الضَّئِيلِ
وَحِينَ يَجْرِي الْإِحْتِفَالُ الْكَبِيرُ
بِعِيدِ (بُوجَا)
وَيَأْتِي أَبْنَاءُ الْجِرَانِ لِلْعَبْرِ
حَوْلَ الْبَيْتِ
فَلَمَّا سَامَتْ رُجُ بِالْحَانَ النَّايِ
وَأَنْبَضُ طَوَالَ النَّهَارِ فِي قَلْبِكَ
سَتَأْتِي الْحَالَةُ الصَّغِيرَةُ بِهَذَا يَا الْعِيدُ
وَتَسْأَلُكَ ، يَا اخْتَاه ، أَيْنَ طِفْلُنَا
فَسَتَقُولِينَ لَهَا فِي لُطْفٍ ، يَا أُمَّاهُ
إِنَّهُ فِي بُبُوِي عَيْنِيَّ
وَفِي جَسَدِي ، وَفِي قَلْبِي .

النداء

عندما رَحَلْتُ
كانت الليلة مُظْلِمَةً
وكانوا يَنَامُونَ
وَمَا تَزَالُ اللَّيْلَةُ مُظْلِمَةً
حينَ نَادَيْتُهَا
عُودِي يَا حَبِيبَتِي
إِنِ الْكُؤُنَ نَائِمٌ ،
وَلَنْ يَذَرِي أَحَدٌ بِكِ
إِذَا عُدْتَ إِلَيَّ بُرْهَةً وَاحِدَةً
فَإِنَّ النُّجُومَ تُحَدِّقُ فِي النُّجُومِ .
عَندَما رَحَلْتُ
كَانَتْ الْأَشْجَارُ تُزْهِرُ

والرَّبيعُ في رَيَعَانِهِ
والآن ، كُلَّ الْأَزْهَارِ تَفْتَحَتْ
وَأَنَا أَدْعُوهَا
عُودِي يَا حَبِيبَتِي .
إِنَّ الْأَطْفَالَ يَجْمَعُونَ الْأَزْهَارَ وَيُنْثُرُونَهَا
فِي لُجَّةِ عَابِثَةٍ
فَإِذَا عُدَتْ
وَأَخَذَتْ زَهْرَةً
فَلَنْ يَقْطِنَ لِذَلِكَ أَحَدٌ
فَالَّذِينَ اعْتَادُوا اللَّعِبَ
مَا يَزَالُونَ غَارِقِينَ فِيهِ
هَكَذَا ، هِيَ الْحَيَاةُ
وَأَسْمَعُ ثَرْتَرَتِهِمْ
فَأُهِتِفْ
عُودِي يَا حَبِيبَتِي .

إِنْ قَلْبَ الْأُمِّ يَطْفَحُ بِالْحُبِّ
فَإِذَا عُدَّتِ وَانْتَرَعَتْ مِنْهَا
قُبْلَةً صَغِيرَةً وَاحِدَةً
فَلَنْ تُثِيرَ حَسَدَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ . .

الياسمينات الأولى

آه، هذه الياسمينات
هذه الياسمينات البيضاء
تعيدُ إلى ذِكرى اليومِ الأولِ
الذي ملأتُ فيه كَفِّي
بهذه الياسمينات
الياسمينات البيضاء
لقد أَحْبَبْتُ نُورَ الشمسِ
وكانت السَّمَاءُ خَضْرَاءَ
والأَرْضُ كُلُّهَا خَضْرَاءَ
وأصغَيْتُ إلى خَرِيرِ النَّهْرِ
في ظُلْمَةِ اللَّيْلِ
أَمَّا أَصَائِلُ الْخَرِيفِ

فقد جَاءَتْ لاسْتِقْبَالِي
 فِي أَقْصَى مُنْعَطَفَاتِ الطَّرِيقِ
 مِنَ الْأَرْضِ الْمَهْجُورَةِ
 كَأَنَّهَا عُرُوسُ
 تَرْفَعُ خِمَارَ ثَوْبِ عُرْسِهَا
 لِكَيْ تُقْبَلَ حَبِيبُهَا
 وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ ذِكْرِي
 الْيَاسَمِينَاتِ الْأُولَى الْبِضَاءِ
 الَّتِي وَضَعَتْهَا فِي يَدَيِ
 حِينَ كُنْتُ طِفْلاً
 مَا تَزَالُ حُلُوةَ عَذْبَةٍ
 لَقَدْ نَعِمْتُ بِأَيَّامِ عَدِيدَةِ هَانِئَةٍ
 فِي حَيَاتِي
 وَضَجَّكَتُ مَعَ أَصْدَقَاءِ مُبْهَجِينَ
 فِي لَيَالِي الْعِيدِ

وفي الأيام الرّمادية الممطرة .
غَنَيْتُ أَغْنِيَاتُ خَامِلَةً
وَطَوَّقْتُ عُثْقِي
بِعِقْدٍ (باكولا)
الذي ضَفَرَتْهُ يَدُ الْمَوْتِ
ومَعَ ذَلِكَ
فإن الذِّكْرَى مَا تَزَالُ
حُلُوةً عَذْبَةً
لِتِلْكَ الْيَاسْمِينَاتِ . . الْبَيْضَاءِ الْأُولَى
التي ضَمَمْتُهَا بِيَدِي
عِنْدَمَا كُنْتُ طِفْلاً صَغِيراً . . .

شجرة البنيان

يا شجرة البانيان
ذاتِ الأطرافِ المُهمَّلةِ
القائمةِ عندِ ضِفَّةِ الغديرِ
لقد نسيتَ الطُّفلَ الصَّغيرِ
مثلَ نِسْيَانِكَ الطُّيُورَ الَّتِي حَطَّتْ فَوْقَكَ
وَصَنَعَتْ أَوْكَارَهَا
بَيْنَ أَغْصَانِكَ ، ثُمَّ طَارَتْ عَنْكَ
وَهَجَرَتْكَ؟
أَلَا تَذْكُرِينَ كَيْفَ كَانَ يَجْلِسُ إِلَى النَّافِذَةِ
مُلاحِظًا فِي دَهْشَةٍ
تَشَابُكَ جُذُورِكَ الَّتِي تَغُوصُ
فِي أَعْمَاقِ الْأَرْضِ .
النِّسَاءُ يَذْهَبْنَ لَمَلِّ الْجَرَّارِ

عند الغدير
 وظلُّك الأسودُ الهائلُ
 يتلوى فوقَ الماءِ مثلَ نُعَاسٍ
 يُقاومُ من أجلِ اليقظةِ .
 وضوءُ الشمسِ
 يرقصُ فوقَ الأمواجِ
 مثلَ مكوكاتٍ صغيرةٍ غيرِ مُستقرّةٍ
 تنسجُ ديباجاً مذهّباً .
 وبطنانٍ تسبحانِ في الغديرِ
 قُربَ الضِّفّةِ المغطّاةِ بالأسلِ
 والطفلُ يجلسُ صامتاً مُستغرقاً في التفكيرِ
 يتمنّى أن يكونَ ريحاً
 تُصفرُ بينَ أغصانكِ الهفّافَةِ
 أن يكونَ ظلاً يمتدّ معَ النهارِ
 فوقَ الماءِ
 أن يكونَ عُصفُوراً يحطّ فوقَ أعلى الغُصُونِ

وَأَنْ يَسْبَحَ مِثْلَ ذَلِكَ الْبَطِّ
بَيْنَ الْأَثَلِ وَالظَّلَالِ...

مباركة

لِتُبَارِكْ هَذَا الْقَلْبَ الصَّغِيرَ
هَذِهِ الرُّوحَ الْبَيْضَاءَ الَّتِي كَسَبَتْ
قُبْلَةَ السَّمَاءِ لِأَرْضِنَا
لِأَنَّهُ يُحِبُّ نُورَ الشَّمْسِ
وَيُحِبُّ رُؤْيَا وَجْهِ أُمِّهِ
وَلَمْ يَتَعَلَّمْ بَعْدُ كَيْفَ يَحْتَقِرُ التُّرَابَ
وَلَمْ يَتَلَقَّنْ شَهْوَةَ الْحُصُولِ عَلَى الذَّهَبِ
فَضَّمَهُ إِلَى قَلْبِكَ وَبَارِكْهُ
لَقَدْ جَاءَ إِلَى هَذَا الْبَلَدِ
حَيْثُ تَتَقَاطَعُ مِثَاطُ الطُّرُقِ
وَلَا أَعْرِفُ كَيْفَ اخْتَارَكَ مِنْ بَيْنِ الْجُمُوعِ الْحَاشِدَةِ

وَجَاءَ إِلَى بَابِكَ ، وَأَمْسَكَ بِيَدِكَ
 إِنَّهُ سَيَتَّبِعُكَ ضَاحِكًا
 وَقَدْ خَلَا قَلْبُهُ مِنْ أَيِّ شَكٍّ
 فَلْتَحْفَظْ لَهُ نِقَّتَهُ فِيكَ
 وَلْتَقُدِّهِ إِلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ
 وَلْتُبَارِكْهُ
 وَضَعْ يَدَكَ فَوْقَ رَأْسِهِ
 وَلْتَصِلْ مِنْ أَجْلِهِ
 حَتَّى إِذَا ثَارَتِ الْأَمْوَاجُ مِنْ تَحْتِهِ
 فَلِإِنْ الرِّيحِ مِنْ فَوْقِهِ تَنْفُخُ أَشْرَعَتَهُ
 وَتَذْفَعُهُ إِلَى مَرَفَأِ الْأَمْنِ وَالسَّلَامِ
 وَفِي اسْتِعْجَالِكَ
 لَا تَنْسَهُ
 وَدَعَهُ يَقْتَرِبُ مِنْ قَلْبِكَ
 وَبَارِكْهُ

رَغَبَاب

حِينَ يَدُقُّ الطَّبْلُ الْعَاشِرَةَ صَبَاحاً
 أُسِيرُ نَحْوَ الْمَدْرَسَةِ
 وَفِي كُلِّ يَوْمٍ
 أَقَابِلُ فِي طَرِيقِي بَائِعاً مُتَجَوِّلاً يَهْتِفُ :
 أُسُورَةَ ، أُسُورَةَ بَلُورِيَّةَ
 لَا شَيْءَ يَدْفَعُهُ إِلَى الْعَجَلَةِ
 وَلَيْسَ هُنَاكَ طَرِيقٌ يَتَوَجَّبُ عَلَيْهِ سُلُوكُهَا
 وَلَا مَكَانٌ يَتَحَتَّمُ أَنْ يَذْهَبَ إِلَيْهِ
 وَلَا سَاعَةٌ مُحَدَّدَةٌ يَعُودُ فِيهَا إِلَى بَيْتِهِ
 أُرِيدُ أَنْ أَكُونَ بَائِعاً مُتَجَوِّلاً
 وَأَنْ أَهْتِفَ كُلَّ يَوْمٍ فِي الشَّارِعِ
 أُسُورَهُ ، أُسُورَةَ بَلُورِيَّةَ ،
 وَفِي الرَّابِعَةِ مَسَاءً

حين أعودُ من المدرسة إلى بيتي
 أرى عبرَ البوابةِ
 بُسْتَانِيَا يَعْرِقُ الْأَرْضَ
 وهو يفعلُ بِمِسْحَاتِهِ ما شاءَ
 ويلطّخُ أثوابه بالترابِ
 ولا أحدٌ يلومه أو يعنفه
 إذا لَفَحَتْهُ الشَّمْسُ ، أو قرَّرَ الإِسْتِحْمَامَ
 أريدُ أن أكونُ بُسْتَانِيَا
 أعزِّقُ الحديقةَ طَوْلَ الْيَوْمِ
 دونَ أن يُوقِفَنِي أَحَدٌ
 وما تكاد تهبطُ الظِّلْمَةُ في المساءِ
 وتدعُونِي أُمِّي إلى النومِ
 أرى عبرَ النافذةِ
 حَارِسًا يَدْرَعُ الطَّرِيقَ جِيئَةً وَذَهَابًا
 الطَّرِيقُ مَهْجُورَةٌ وَمُظْلِمَةٌ
 والفانوسَ قائمٌ مُسْتَقِيمٌ كَأَنَّهُ عِمْلَاقُ

يَعْنِ حَمْرَاءَ وَاحِدَةٍ فِي رَأْسِهِ
وَيَهْزُ الْحَارِسَ الْفَانُوسَ
وَيَسِيرُ إِلَى جَانِبِ ظِلِّهِ
وَلَا يَذْهَبُ لِلنَّوْمِ طَوَالَ الْحَيَاةِ
أُرِيدُ أَنْ أَكُونَ حَارِسًا
وَأَذْرُعَ الشَّوَارِعَ لَيْلًا
جِيئَةً وَذَهَابًا
وَأَطْرِدَ الظُّلَالَ بِمِصْبَاحِي

الهدية

أُرِيدُ أَنْ أُعْطِيكَ شَيْئًا ، يَا بُنَيَّ .
نَظَرًا إِلَى أَنَّنَا نَتَسَاقُ إِلَى تَيَّارِ الْكَوْنِ الْجَارِفِ
فَإِنْ حَيَاتِنَا سَتَفْتَرِقُ
وَحُبُّنَا سَيُنْسَى
وَلَكِنِّي لَسْتُ غَيْبًا إِلَى هَذَا الْحَدِّ
حَتَّى أَرْجُو شِرَاءَ قَلْبِكَ بِهَذَا يَاسِ .
شَابَّةٌ غَضَّةٌ هِيَ حَيَاتُكَ
وَطَوِيلَةٌ هِيَ طَرِيقُكَ
وَأَنْتَ تَشْرَبُ فِي جُرْعَةٍ وَاحِدَةٍ
الْحُبِّ الَّذِي نَحْمِلُهُ إِلَيْكَ
ثُمَّ تَلْتَفِتُ وَتُشِيحُ عَنَّا وَتَهْرَبُ مِنَّا
إِنْ لَكَ أَلْعَابُكَ وَرُقَقَاءُ لَهْوِكَ

وَأَيَّ ضَمِيرٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَدَيْكَ الْوَقْتُ
لِتَتَفَكَّرَ فِينَا؟

سَيَكُونُ لَنَا وَقْتُ كَافٍ

عِنْدَ الشَّيْخُوخَةِ

لِكَيْ نَعُدَّ الْأَيَّامَ الَّتِي مَرَّتْ

وَلِكَيْ نَحْفَظَ فِي قُلُوبِنَا

مَا فَقَدْتُهُ أَيْدِينَا إِلَى الْأَبَدِ.

إِنَّ النَّهْرَ يَمْضِي مُسْرِعاً وَمُغْنِياً

مُكَتْسِحاً كُلَّ الْحَوَاجِزِ

وَلَكِنَّ الْجِبَالَ تَظَلُّ بَاقِيَةً وَمُتَذَكِّرَةٌ

وَهِيَ تَتَابَعُهُ بِحُبِّهَا

* * *

أغنيتي

أُغْنِيَنِي هَذِهِ
سَتَلْفُ مُوسِيْقَاهَا حَوْلَكَ
وَتُطَوِّقُكَ يَا بُنَيَّ كَأَذْرُعِ الْحُبِّ .
أُغْنِيَنِي هَذِهِ
سَتَلْمَسُ جَبْهَتَكَ
كَقُبْلَةِ الْبَرَكَةِ .
وَحِينَ تَكُونُ وَحْدَكَ
سَتَجْلِسُ هِيَ إِلَى جِوَارِكَ
وَتَهْمِسُ فِي أُذُنِكَ هَمْسَاتِهَا .
وَحِينَ تَكُونُ بَيْنَ حُشُودِ النَّاسِ
فَلِإِنَّهَا سَتُسَوِّرُكَ بِعَدَمِ الْكَثَرَاتِ
وَسَتَكُونُ أُغْنِيَنِي

جَنَاحَيْنِ لِأَحْلَامِكَ
وَتَحْمِيلُ قَلْبِكَ إِلَى حُدُودِ الْمَجْهُولِ
سَتَكُونُ لَكَ كَالنَّجْمَةِ الْمُخْلِصَةِ
فِي أَعَالِي السَّمَاءِ .
تَهْدِيكَ الطَّرِيقَ حِينَ يَشْتَدُّ ظِلَامُ اللَّيْلِ .
وَأُغْنِيَنِي هَذِهِ
سَتَجْلِسُ فِي بُؤْبُؤِي عَيْنَيْكَ
وَتَحْمِيلُ بَصَرِكَ عَلَى النَّظَرِ فِي قَلْبِ الْأَشْيَاءِ
وَحِينَ يُسْكِتُ الْمَوْتُ صَوْتِي
فَإِنْ أُغْنِيَنِي سَوْفَ تَتَحَدَّثُ إِلَيَّ قَلْبِكَ .

العقد الأخير

صَرَخْتُ فِي الصَّبَاحِ
تَعَالُوا، اشْتَرُونِي
وَأَنَا أَمْشِي فَوْقَ الطَّرِيقِ الْمُبْلُطَةِ
فَجَاءَ الْمَلِكُ فَوْقَ عَرَبَتِهِ
شَاهِراً سَيْفَهُ
وَأَمْسَكَ بِيَدِي قَائِلاً:
سَأَشْتَرِيكَ بِسُلْطَانِي
وَلَكِنَّ سُلْطَانَهُ لَمْ يُسَاوِ شَيْئاً
وَرَجَعَ فَوْقَ عَرَبَتِهِ .
وَفِي وَهَجِ الظَّهِيرَةِ
كَانَتْ أَبْوَابُ الْبُيُوتِ مُغْلَقَةً
وَكُنْتُ أَجُوبُ الطَّرِيقَ الْمُلتَوِيَّةَ

وَخَرَجَ رَجُلٌ يَحْمِلُ كَيْسًا مِنَ الذَّهَبِ
 وَتَأْمَلْنِي ثُمَّ قَالَ :
 سَأَشْتَرِيكَ بِثُقُودِي
 وَوزن ثُقُودِهِ قِطْعَةً قِطْعَةً
 وَلَكِنِّي تَابَعْتُ طَرِيقِي
 وَكَانَ الْمَسَاءُ
 وَسَيَاحُ الْحَدِيقَةِ كَانَ مُعْطًى بِالزُّهُورِ
 وَخَرَجَتْ صَبِيَّةٌ جَمِيلَةٌ وَقَالَتْ :
 سَأَشْتَرِيكَ بِابْتِسَامَتِي
 وَلَكِنْ ابْتِسَامَتَهَا تَلَاشَتْ
 وَانْفَرَطَتْ فِي دُمُوعٍ
 وَعَادَتْ وَخَذَهَا فِي الظُّلَامِ .
 كَانَتْ الشَّمْسُ تَلْمَعُ فَوْقَ الرَّمَالِ
 وَأَمْوَاجُ الْبَحْرِ تَنْكَسِرُ نَائِرَةً مَزِيدَةً ،
 وَطِفْلٌ كَانَ يَلْهُو بِالْقَوَاقِعِ

فَرَفَعَ رَأْسَهُ نَحْوِي

وَبَدَأَ كَأَنَّهُ يَعْرِفُنِي

وَقَالَ :

سَأَشْتَرِيكَ بِلَا شَيْءٍ .

وَمِنْ تِلْكَ اللَّحْظَةِ جَعَلَ مِنِّي الْعَقْدُ

الَّذِي أُبْرِمَ عَنْ طَرِيقِ اللَّعِبِ

إِنْسَانًا حُرًّا

الملاك الطفل

إِنَّهُمْ يَصْرُخُونَ وَيَتَصَارِعُونَ
وَيَشْكُونَ وَيَقْنَطُونَ
وَمَعَارِكُهُمْ لَا تَعْرِفُ النِّهَايَةَ .
فَلْتَكُنْ حَيَاتُكَ بَيْنَهُمْ
يَا بُنَيَّ
مِثْلَ لَهَيْبِ النُّورِ
صَافِيَةً وَقَادَةً
تُذْهِلُهُمْ بِسِحْرِهَا .
لَهُمْ قُسَاةٌ
فِي حَسَدِهِمْ وَأَطْمَاعِهِمْ
وَكَلِمَاتُهُمْ مِثْلُ السَّكَاكِينِ الْخَفِيَّةِ

ظَامِئَةً إِلَى الدَّمِّ
فَاذْهَبْ إِلَيْهِمْ ، وَأَقِمْ يَا بُنَيَّ
بَيْنَ قُلُوبِهِمُ الْعَابِسَةَ .
وَضَعَ نَظْرَاتِكَ اللَّطِيفَةَ فَوْقَهُمْ
مِثْلَ أَمْنِ الْمَسَاءِ الرَّحِيمِ
يُخَيِّمُ عَلَى صِرَاعِ النَّهَارِ .
دَعُهُمْ يَتَأَمَّلُونَ وَجْهَكَ
يَا بُنَيَّ وَيُحَدِّثُونَ إِلَيْهِ
وَلِيَتَعَرَّفُوا هَكَذَا عَلَى مَعْنَى كُلِّ الْأَشْيَاءِ
وَاعْمَلْ عَلَى أَنْ يَحْبُوكَ وَأَنْ يَتَحَابُّوا .
تَعَالَ بَعْدَ ذَلِكَ وَخُذْ مَكَانَكَ
فِي قَلْبِ اللَّائِنَهَائِي يَا بُنَيَّ
وَافْتَحْ قَلْبَكَ عِنْدَ الصَّبَاحِ مِثْلَ الزُّهْرَةِ
الَّتِي تُنَوِّرُ

وَعِنْدَ الْغُرُوبِ
إِخْشَعُ فِي صَمْتٍ
وَتَمِّمْ عِبَادَةَ النَّهَارِ

* * *

مَنْ أَنْتَ أَيُّهَا الْقَارِيءُ
 الَّذِي سَقَرْتُ شِعْرِي بَعْدَ مِثَاتِ الْأَعْوَامِ
 لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَبْعَثَ إِلَيْكَ
 زَهْرَةً وَاحِدَةً مِنْ ثُرُوفِ هَذَا الرَّبِيعِ الزَّاهِرِ
 وَلَا خَيْطًا ذَمِيًّا
 مُنْسَابًا مِنَ السُّحُبِ الْبَعِيدَةِ.
 افْتَحِ الْأَبْوَابَ
 وَانْظُرْ حَوْلَكَ
 وَمِنْ بُسْتَانِكَ الزَّاهِرِ
 اقْطُفِ الذُّكُرِيَّاتِ الْعَطِيرَةَ
 لِلزُّهُورِ الَّتِي ذَهَبَتْ مِنْذُ مِثَةِ عَامٍ
 وَفِي قَرْحَةٍ قَلْبِكَ
 يُمَكِّنُكَ أَنْ تُعْضِيَ إِلَى الْبَهْجَةِ الْحَيَّةِ
 الَّتِي غَنَّتْهَا أَنَا فِي صَبَاحِ رَبِيعِي
 مُرْسِلًا صَوْتَكَ الْفَرَحَ الْبَهْجَ
 عَبْرَ مِثَاتِ الْأَعْوَامِ

الهدايا العربية للكاتب

المقر الرسمي : شارع غومة الحمودي - ص. ب : 3185 طرابلس - الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية

- الهاتف : 30384 - 47287 - تلکس : 20003 الكتاب

الفرع الرئيسي : 4 ، نهج 7101 - المار 2 ص. ب : 1104 القباضة الأصلية 1000 تونس - الجمهورية التونسية

- الهاتف : 236600 - 236025 - تلکس : 14966 كتاب